(٢) **رؤية الله تعالى :**

لقد أجمعت المعتزلة على القول بنفى رؤية الله تعالى بالأبصار يوم القيامة ، وقد نص المعتزلةأنفسهم على هذا الإجماع ، كما أشارت كثير من كتب الفرق إليه(١).

وزعموا أن القول بإثباتها قول حادث ومبتدع بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته(٢).

ولقد خيم طاغوت التجسيم على أذهان المعتزلة فرأوا فى إثبات الرؤية حصوله فنفوها كما نفوا إثبات الصفات بمثل ذلك .

يقول عبد الجبار :

"لاأحد يدعى أنه يرى الله سبحانه إلا من اعتقده جسماً مصوراً بصورةمخصوصة ، أو يعتقد فيه أنه يحل فى الأجسام"(٣).

فكل مايقع عليه البصر إنما هو محدود ضعيف ، محوى ، محاط به ، له كل وبعض ، وفوق وتحت ، ويمين وشمال ، وأمام وخلف ، ولايمكن أن يوصف الله بذلك لأن ذلك من صفات الأجسام ، والله ليس بجسم(٤). فمن أثبتها فقد انغمس فى وحل التشبيه وتغطى بدثاره(٥). وبالتالى يتبع إثباتها لوازم باطلة - على رأيهم - يقول القاضى عبد الجبار :

"إن إثبات الرؤية يؤدى إلى حدوثه ، وإلى حدوث معنى فيه ، وإلى تشبيهه بخلقه، وإلى تجويره فى حكمه ، وإلى تكذيبه فى خبره ، لأن الشىء إنما يرى إذا كان مقابلاً ، أو حالاً فى المقابل ، وهذه من صفات الأجسام ، فيجب أن يكون القديم تعالى جسماً ، وإذا كان جسماً يجب أن يكون محدثاً

---

(١) انظر : المغنى ١٣٩/٤ ، باب ذكر المعتزلة ص٦ ، مقالات الإسلاميين ٢٣٨/١ ، الفرق بين الفرق ص١١٤-١١٥ ، الملل والنحل ٤٥/١ .

(٢) انظر : فضل الاعتزال ص١٥٨ .

(٣) المغنى ٩٩/٤ .

(٤) انظر : رسائل العدل والتوحيد ص٧٠ ، قصيدة الصاحب ص٥٦ .

(٥) انظر : المحيط بالتكليف ص٢٠٨ ، فضل الاعتزال ص١٩٦-١٩٧ .

لأن الأجسام لاتخلو من المعانى المحدثة فيؤدى إلى حدوثه ، وكذلك إذا كان جسماً تجوز عليه الحاجة ، وتجوزعليه الزيادة والنقصان ، وإذا جازت عليه الحاجة جاز أن يجور فى حكمه ، ويكذب فى خبره ، تعالى عن ذلك ، فإذا كان إثبات الرؤية لله تعالى يؤدى إلى كل هذه المحالات ، فيجب أن ينفى عنه على مانقوله"(١).

وتطاول بعضهم فكفر من قال برؤية الله ، لأنه مشبه لله بخلقه والمشبه كافر(٢).

وليس هذامنتهى قولهم فى نفى الرؤية ، بل زعموا أنه يستحيل أن يرى نفسه ، لأنه يستحيل فى ذاته أن يرى ، فذاته لاترى(٣). وهل يرى غيره؟ فهذا موضع اختلاف بينهم ، أجازه قوم ومنعه آخرون(٤).

كما اختلفوا فى رؤيته بالقلوب ، فقال أبو الهذيل وأكثر المعتزلة : نرى الله بقلوبنا بمعنى أنا نعلمه بقلوبنا ، وأنكر بعضهم ذلك(٥).

وقد صرحوا بأن إثبات الرؤية لايمكن الاستدلال عليه بالسمع ، أى بالقرآن والسنة ، لأن الاستدلال بذلك ينبنى على أنه تعالى عدل حكيم لايظهر المعجز على الكذابين ، ومن لايقول بذلك فلايمكنه الاستدلال بالسمع على شىء أصلاً(٦). بل "لاسمع ورد مصرحاً بأنه سبحانه يرى بالأبصار"(٧)، "ولافى كتاب الله جل وعز ذكر الرؤية فكيف يصح أن يدعى أنه تعالى سمى نفسه بأنه يرى ، أو ورد السمع به"(٨).

---

(١) شرح الأصول ص٢٧٦ .
(٢) انظر : الانتصار ص٥٥ .
(٣) انظر : المغنى ٤/٩٤-٩٥ ، قصيدة الصاحب ص٥٦ .
(٤) انظر : الفرق بين الفرق ص١١٤-١١٥ .
(٥) انظر : مقالات الإسلاميين ١/٢٣٨ .
(٦) انظر : شرح الأصول ص٢٦٢ .
(٧) المغنى ٤/١٣٧ .
(٨) المرجع السابق ٤/١٣٨ .

ولـذا كان عمدة أدلتهم فى نفى الرؤية العقل ، وإن كـانوا قد اتبعوا ذلك بأدلة نقلية .

ولهـم طـريقان عقليان فى ذلـك . بينهمـا القاضى عبـد الجبـار فقـال : "أحدهما دليل المقابلة ، والثانى دليل الموانع .

١ ـ فتحـرير الأول : "إن مـن شأن أحدنا أن لايرى إلا إذا كـانت له حاسة صحيحة ، ولايكفى ذلك دون أن يكون المرئى مقابلاً لحاسته ، إن كان إنما يراه بلاواسطـة ، أويقابل ماقابل حاسته إن كان يرى بواسطـة هى المرآة، وكـانت هـذه القضيـة لازمـة وواجبـة فى الـرائى بحاسـة ، لأنه مهمـا حصـل الشـرطان صـح كونه رائياً ، ومهمـا فقدا أو فقد أحدهمـا امتنعـت الرؤية . ومعلوم أن القديم يرى الجوهر ولايقابله ، فإذا ثبتت هذه الجملة، وكان من حق الـرائى هنا أن لايرى إلا ماهومقابل لنا ، وكانت هـذه القضية فيه تعالى ممتنعة ، فيجب أن تمتنع الرؤية"(١).

٢ ـ وتحرير الثـانى :إن المنـع مـن الرؤية إنما يصـح على مـن يجوز أن يكون رائياً ، بأن يكون حياً لاآفة به ، وحاسته صحيحـة ،و المرئى موجود ، فحينئـذ يرد عليه من رؤية هذا المرئى منع ، والموانع أجمـع راجعة إلى ماهو من تمام الحاسة ، وهو الشعـاع الـذى لابد مـن حصولـه مـع المرئى على وجه مخصوص ، ولايحدث ذلك إلا مع الأجسام ، والله تعالى ليـس بجسم فامتنعت رؤيته لذلك أيضا(٢)."

وخلاصـة مـاذكر إن الشـىء إنما يرى إذا كـان مقـابلاً ، أو حالاً فى المقابل ، أو فى حكم المقابل وهذه من صفات الأجسام(٣).

أو يوجد رائى ومـرئى ولامانع من حدوث الرؤية ، والموانع ترجع إلى الشعاع الذى هو من صفات الأجسام ، والله ليس بجسـم ، فتمتنع الرؤية .

---

(١) المحيط بالتكليف ص٢٠٩-٢١٠ .
(٢) انظر : المرجع السابق ص٢١٠-٢١١ .
(٣) انظر : شرح الأصول ص٢٧٦ .

فهذا عن طرقهم العقلية وأما النقلية فقد استدلوا بأدلة لتأييد ماسبق . من ذلك :

(١) قوله تعالى :

{لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير}(١).

والدلالة من الآية على وجهين :

الأول : إن الإدراك إذا قرن بالبصر لايحتمل إلا الرؤية ، فلاحال يعقل للإنسان إذا أدرك الشيء ورآه إلا حالة واحدة ، وهو كونه رائياً له . ولايجوز فى اللغة أن يراد بالإدراك إلا الرؤية بالبصر ، ولذلك يجريان فى النفى والإثبات على حد واحد ، وقد نفى عن نفسه إدراك الأبصار وذلك نفى لرؤيتها . والنفى ههنا عام من غير توقيت ، فيجب أن يقطع على أن المراد بذلك فى كل حال لافرق بين الدنيا والآخرة .

الثانى : أنه سبحانه مدح نفسه بنفى الإدراك عنها ، مدحاً يرجع إلى ذاته ، فإثبات الإدراك له لايكون إلا نقصاً وذماً لأنه نفى ماتمدح الله به ، وصفة النقص لاتجوز فى حقه سبحانه وتعالى فى الدنيا ولافى الآخرة. فلهذا يجب أن لايرى فى الدنيا ولافى الآخرة(٢).

وقد عد المعتزلة هذه الآية من الآيات المحكمة التى يجب أن تحمل بقية الآيات التى زعموا أنها متشابهة عليها(٣).

وخلاصة وجهى الاستدلال بالآية :

الأول : إن الإدراك المقرون بالبصر لايحتمل إلا الرؤية وقد نفى ، والنفى عام فى جميع الأوقات والأزمان .

الثانى : إن الله تمدح بكونه لايرى ـ على فهمهم ـ وماكان عدمه مدحاً كان وجوده نقصاً يجب تنزيه الله عنه(٤).

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٣

(٢) انظر : المغنى ٤/١٤٦، ١٥٠ ، شرح الأصول ص٢٣٣ ، المحيط ص٢١٢ ، متشابه القرآن ص٢٥٥ ، شرح قصيدة الصاحب ص٥٤ .

(٣) انظر : رسائل العدل والتوحيد ص١٠٧ .

(٤) رؤية الله تعالى ص٣٥ .

(٢) قوله تعالى :

{ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين}(١).

ولهم عدة أوجه فى الاستدلال بالآية :

الأول : قوله تعالى : "لن ترانى".

إن الله أنكر على موسى طلبه فغيره أولى بالإنكار ، لأن الرؤية تضمن المقابلة التى هى محض التشبيه والتجسيم .

فإن قيل : كيف طلب موسى عليه السلام رؤية الله وهو من أعلم الناس بالله وصفاته ومايجوز عليه ومالايجوز . ومن ذلك تعاليه عن الرؤية؟

الجواب : بأنه ماطلب ذلك إلا ليبكت الذين طلبوا رؤية الله عندما قالوا : "أرنا الله جهرة" فأنكر عليهم ذلك ، وبين لهم أنه خطأ ، ولكنهم تمادوا فى لجاجهم وأصروا على طلب الرؤية ، فأراد موسى أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك فقال له "لن ترانى" فإذا سمعوه تيقنوا وانزاح عنهم مادخلهم من شبه ، فطلب موسى عبارة عن ترجمة عن مقترحهم وحكاية عن قولهم(٢).

وقال عبد الجبار :

"إنه التمس من الله تعالى أن يعرفه نفسه ضرورة بقوله "رب أرنى أنظر إليك" لأن الرؤية قد تنطلق على المعرفة ، فكأنه قال : عرفنى نفسك باضطرار لأكون من الشبه أبعد ، وإلى السكون والطمأنينة أقرب ، وأراد أن يظهر تعالى من الآيات العظيمة ماعنده تحصل هذه المعرفة ، فذكر نفسه فى قوله : "أنظر اليك" وإنما أراد الآيات التى يحدثها ، فقال تعالى : "لن ترانى"

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٤٣

(٢) انظر : الكشاف ٢/٨٩-٩٠ .

مبيناً له أن مع التكليف لايجوز أن يعرفه باضطرار"(١).

الثانى :إن "لن" تفيد تأكيد النفى الذى تعطيه "لا" ، لأن "لا" تنفى المستقبل . وذلك كقوله : {لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له}(٢)، فقوله "لاتدركه الأبصار" نفى للرؤية فيما يستقبل ، وقوله "لن ترانى" تأكيد وبيان لأن المنفى مناف لصفاته(٣).

وقد طرح الزمخشرى فى هذا الموضع سؤالاً : "فإن قلت كيف اتصل الاستدراك فى قوله {ولكن انظر الى الجبل} بما قبله؟

أجاب قائلاً : "اتصل به على معنى إن النظر إلى محال فلاتطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذى يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكاً بسبب طلبك الرؤية لتستعظم مأأقدمت عليه بما أريك من عظم أثره كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية مامثله عند نسبة الولد إليه فى قوله : {وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً}(٤)(٥).

ويؤيد ماذهب إليه الزمخشرى فى أن "لن" تفيد التأبيد القاضى عبد الجبار فيقول :

"يدل ظاهره ـ أى قوله " لن ترانى" ـ على أنه لايراه أبدا ، لأن النفى على هذا الوجه يوجب ذلك فى اللغة ، كقوله تعالى : {فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس}(٦)إلى ماشاكله"(٧).

---

(١) متشابه القرآن ص٢٩٤ .
(٢) سورة الحج : آية ٧٣
(٣) انظر : الكشاف ٢/٨٩-٩٠ .
(٤) سورة مريم : آية ٩٠-٩١
(٥) انظر المرجع السابق ٢/٨٩-٩٠ .
(٦) سورة البقرة : آية ٢٤
(٧) المغنى ٤/١٦٩-١٧٠ .

ويقول : "فأما شيوخنا رحمهم الله ، فقد استدلوا بهذه الآية على أنه تعالى لايرى ، لأنه تعالى قال : "لن ترانى" وذلك يوجب نفى رؤيته تعالى فى المستقبل أبداً ، فإذا صح ذلك من موسى وجب مثله فى الأنبياء والمؤمنين"(١).

الثالث : قوله تعالى : {ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً} .

زعم الزمخشرى أن ذلك تعليق لوجود الرؤية بوجود مالايكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه ويسويه بالأرض(٢).

واستفاض عبد الجبار فى بيان وجه الدلالة فذكر أن الله نفى أن يراه موسى عليه السلام وأكد ذلك بأن علقه باستقرار الجبل ، وقد جعل الجبل دكاً منبهاً بذلك على أن رؤيته لاتقع لتعليقه إياها بأمر وجد ضده على طريق التبعيد المشهور عند العرب ، فهم يؤكدون الشىء بمايعلم أنه لايقع على جهة التبعيد كقول الشاعر :

إذا شاب الغراب أتيت أهلى

وصار القار كاللبن الحليب

وكقوله تعالى : {ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط}(٣). ثم جعل الله الجبل دكاً مبيناً به انتفاء استقرار وفى ذلك دليل على أن الرؤية لاتقع(٤).

وقد أورد عبد الجبار اعتراضاً حول معنى قول الله تعالى : {فلماتجلى ربه للجبل} ، قال فيه :

---

(١) متشابه القرآن ص٢٩٦ .

(٢) انظر : الكشاف ٩١/٢ .

(٣) سورة الأعراف : آية ٤٠

(٤) انظر : المغنى ١٦١/٤-١٦٢ ، متشابه القرآن ص٢٩٦-٢٩٧ .

"والمراد بقوله : {فلماتجلى ربه للجبل} ، فلما أظهر من آياته وقدرته ماأوجب أن يصير دكاً . وقد يقال تجلى بمعنى جلى ، كما يقال : حدث وتحدث ، ولذلك قال فى الساعة : {لايجليها لوقتها إلا هو}(١)، وظاهر جلى وتجلى : هو الإظهار ، فيجب أن يحمل على إظهار القدرة ، يبين ذلك أنه تعالى علق جعله الجبل دكاً بالتجلى ، ولو أراد به تجلى ذاته لم يكن لذلك معنى ، لأنه لو كان الجبل يجب أن يصير دكاً ، أو أراد : تجلى بمعنى المقابلةلوجب أن لايستقر له مكان ، بل كان يجب فى العرش أن يصير دكاً ، وأن يكون بهذه الصفة أحق .

ولو كان فى الحقيقة تجلى الجبل ، بمعنى أنه أظهر وزال الحجب ، لكان من على الجبل يراه أيضاً، فكان لايصح مع ذلك قوله : "لن ترانى" وكان لايصح أن يعلق نفى الرؤية بأن لايستقر الجبل ، والمعلوم أنه لايستقر بأن ينكشف ويرى ، لأن ذلك فى حكم أن يجعل الشرط فى أن لايرى مايوجب أن يرى ، وذلك متناقض"(٢).

وقال : "فأما التجلى فإنما يصح أن يتعلق به من يزعم أنه تعالى جسم يجوز عليه الانتقال ، فأما من لايقول بذلك ويقول إنه لاكالأجسام ، وأنه ليس بمؤلف فتعلقه بهذا الظاهر ، وإن أطلق هذا القول فيه تعالى ، لايصح"(٣).

الرابع : قوله تعالى : {وخر موسى صعقاً} .

قال الزمخشرى : "وخر موسى صعقاً" من هول مارأى .. ومعناه خر مغشياً عليه غشية كالموت ، وروى أن الملائكة مرت عليه وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون :ياابن النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة؟(٤)

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٨٧

(٢) متشابه القرآن ص٢٩٨ .

(٣) المرجع السابق ص٢٩٧ .

(٤) الكشاف ٩١/٢ .

الخامس : قوله تعالى : {قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين} .

قال الزمخشرى : "فى قوله تعالى : "قال سبحانك" أى أنزهك مما لايجوز عليك من الرؤية وغيرها . "تبت إليك" : من طلب الرؤية . "وأنا أول المؤمنين" : بأنك لست بمرئى ولامدرك بشىء من الحواس".

ثم يورد سؤالاً فيقول : "فإن كان طلب الرؤية للغرض الذى ذكرته فمم تاب موسى؟"

قلت : من إجرائه تلك المقالة العظيمة وإن كان لغرض صحيح على لسانه من غير إذن فيه من الله تعالى . فانظر إلى إعظام الله تعالى أمر الرؤية فى هذه الآية ، وكيف أرجف الجبل بطالبيها وجعله دكاً وكيف أصعقهم ، ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة فى إعظام الأمر ، وكيف سبح ربه ملتجأ إليه وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال "أنا أول المؤمنين" ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً ولايغرنكم تسترهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم . والقول ماقال بعض العدلية فيهم :

لجماعة سموا هواهم سنة
وجماعة حمر لعمرى موكفة(١)
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا
شنع الورى فتستروا بالبلكفة(٢)

ثم أورد المعتزلة أحاديث وآثاراً زعموا أنها تدل على نفى الرؤية منها:

(١) ماروى عن سمرة بن جندب أنه قال :

سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل نرى ربنا فى الآخرة؟

---

(١) موكفة :من الوكف : محركة . وهو الميل والجور ، والعيب والإثم . القاموس المحيط ص١١١٣ .

(٢) الكشاف ٢/٩١-٩٢ .

ويعنى بالبلكفة : قول أهل السنة : بلا كيف .

قال : فانتفض فسقط ولصق بالأرض وقال : "لايراه أحد ولاينبغى لأحد أن يراه"(١).

(٢) مانسب لعائشة :

"إنها سمعت بأن القوم يقولون : بأن الله يرى ، فقالت : لقد قف شعرى مما قلتموه ، ودفعت ذلك بقوله تعالى : {لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار}(٢).

وأما موقفهم من أدلة الإثبات اقتصر على ذكر مثالين أحدهما من القرآن والآخر من السنة .

المثال الأول :

قوله تعالى : {وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة}(٣).

ولهم أوجه فى صرف دلالتها :

(١) إن ظاهرها يقتضى التشبيه فيجب تأويلها(٤).

(٢) إنها من المتشابه الذى يجب أن يأول لكى يتفق مع الآيات المحكمة التى تنفى الرؤية كقوله تعالى : {لاتدركه الأبصار}(٥).

ولهم أوجه فى تأويلها :

قال عبد الجبار :

"وقوله تعالى : {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} لايدل ظاهره على أنه تعالى يرى من وجوه :

---

(١) انظر : شرح قصيدة الصاحب ص٥٤ .
ولم أقف على هذا الحديث فى شىء من كتب أهل العلم . وهو مناهض للآيات والأحاديث التى تثبت رؤية الله فى الآخرة .
ولايبعد وضعه .

(٢) فضل الاعتزال ص١٥٩ .
وسوف يأتى تخريج حديث عائشة والكلام عنه .

(٣) سورة القيامة : آية ٢٢ - ٢٣

(٤) انظر : المحيط بالتكليف ص٢٠٨ .

(٥) انظر : رسائل العدل والتوحيد ص١٠٨ .

أحدها : أنه تعالى ذكر أنها ناظرة إلى ربها ، والنظر غير الرؤية ، لأنه إذا علق بالعين فالمراد طلب الرؤية ، كما إذا علق بالقلب ، فالمراد طلب المعرفة ، ولذلك يقول القائل : نظرت إلى الشيء فلم أره ، ونظرت إليه حتى رأيته ، فلذلك نعلم باضطرار أن الناظر ناظر ولانعلمه رائياً إلا بخبره . ولذلك أضافت العرب النظر إضافات ، فجعلت منه نظر الراضى والغضبان ... إلى غير ذلك، ولم تضف الرؤية على هذا الحد ، وإذا كان النظر غير الرؤية ـ لما ذكرناه ـ فكيف يدل الظاهر على أنهم يرون الله؟

ومتى قالوا : إذا ثبت بالظاهر أنه ينظر إليه، وجب أن يكون مما يصح رؤيته ، قلنا : هذا يؤدى إلى أن يكون جسماً فى جهة مخصوصة ، لأن النظر هو تقليب الحدقة نحو الشيء التماساً لرؤيته وهذا لايصح إلا والمطلوب رؤيته فى جهة مخصوصة ، وذلك يوجب أنه جسم ،تعالى الله عن ذلك! ولهذا قلنا : إنه تعالى لما خلق النظر بنفسه ، وعلمنا أن ذلك لايصح فيه ، وجب أن يكون المراد به الثواب ، لأن الحكم الذى يقتضيه الاسم إذا لم يصح فيما علق به ، وجب أن يكون المراد غيره ، كقوله تعالى : {واسأل القرية}(١). إلى غير ذلك من وجوه المجاز.

والثانى : أنه تعالى وصف الوجوه بأنها ناظرة ، وقد علمنا أن هذه اللفظة تفيد الجملة ، لأن الناظر هو الإنسان دون بعضه ، كما أنه العالم والقادر والفاعل ، فإذا صح وكان الإنسان يوصف على أنه ناظر على وجه فيراد به الانتظار ، وقد يراد به تقليب الحدقة طلباً للرؤية ، وقد يراد به التفكر بالقلب طلباً للمعرفة ، فليس فى الظاهر ـ إذن ـ دلالة على ماقاله القوم وهو محتمل له ولغيره .

والثالث : أنه تعالى أراد بذكر الوجوه جملة الإنسان ، لاالبعض المخصوص ، ولذلك وصف الوجوه بأنها ناظرة ، وذلك يليق بها دون الأبعاض ، ولذلك قال من بعد : {وجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة}(٢)، فوصفها بالظن الذى لايليق بالوجه . فإذا صح ذلك وجب كون

---

(١) سورة يوسف : آية ٨٢
(٢) سورة القيامة : آية ٢٤،٢٥

"ومما يتعلقون به أخبار مروية عن النبى صلى الله عليه وآله ، وأكثرها يتضمن الجبر والتشبيه ، فيجب القطع على أنه صلى الله عليه وسلم لم يقله ، وإن قال فإنه قاله حكاية عن قوم ، والراوى حذف الحكاية ونقل الخبر"(١).

ثم تناول الحديث السابق مبينا بأنه أشق وأعظم مايتمسك به من يثبت الرؤية ، وقد حاول دفعه ورده بأجوبة :

أحدها : إنه يتضمن الجبر والتشبيه ، لأن القمر لايرى إلا مدوراً عالياً منوراً ، ولايجوز أن يرى الله على هذا الحد . فلابد من القطع على أن هذا الخبر كذب عن النبى صلى الله عليه وسلم وأنه لم يقله ، وإن قاله فإنما هو حكاية عن قوم .

الثانى : إنه يروى عن قيس بن أبى حازم(٢)عن جرير بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم . ثم طعن فى قيس من وجهين :

الوجه الأول : إنه كان يرى رأى الخوارج . ودليله على ذلك أنه قال - أى قيس - : "منذ سمعت علياً على منبر الكوفة يقول :انفروا إلى بقية الأحزاب - يعنى أهل النهروان -(٣)دخل بغضه قلبى" . فقال عبد الجبار : "ومن دخل بغض أمير المؤمنين قلبه ، فأقل أحواله أن لايعتمد على قوله ولايحتج بخبره" .

الوجه الثانى : قيل إنه خولط فى عقله آخر عمره ،والكتبة يكتبون عنه كعادتهم فى حال عدم التمييز ، ولاندرى أن هذا الخبر رواه وهو صحيح العقل أو مختلط .

---

(١) شرح الأصول ص٢٦٨ .

(٢) تأتى ترجمته والكلام عنه .

(٣) النهروان :

موضع واسع بين بغداد وواسط من الجانب الشرقى .

كان بها وقعة مشهورة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب مع الخوارج .

انظر : معجم البلدان ٣٢٤/٥ ، مراصد الإطلاع ١٤٠٧/٣ .

الثالث : لو صح وسلم فهو خبر آحاد ، وخبر الواحد لايقتضى العلم ، ومسألة الرؤية طريقها القطع والثبات .

الرابع : إنه معارض بأخبار رويت ، منها :

مارواه أبو قلابةعن أبى ذر أنه قال : قلت للنبى : "هل رأيت ربك"؟ فقال : "نور هو ، أنى أراه" .

أى أنور هو؟ كيف أراه؟(١)

وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لن يرى الله أحد فى الدنيا ولافى الآخرة"(٢)(٣).

الخامس : إن المراد بالرؤية فى الحديث العلم وليست الرؤية البصرية.

قال عبد الجبار :

ثم نتناوله نحن على وجه يوافق دلالة العقل ، فنقول المراد به سترون ربكم يوم القيامة ، أى ستعلمون ربكم يوم القيامة كما تعلمون القمر ليلة البدر . وعلى هذا قال : لاتضامون فى رؤيته ، أى لاتشكون فى رؤيته فعقبه بالشك ، ولو كان بمعنى رؤية البصر لم يجز ذلك. والرؤية بمعنى العلم مما نطق به القرآن ، وورد به الشعر"(٤).

وقال الزمخشرى:

""سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر" بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هى فى الجلاء كإبصاركم القمر إذا امتلأ واستوى"(٥).

فحمل الرؤية على المعرفة بينما حملها عبد الجبار على العلم .

---

(١) سوف يأتى تخريج الحديث والكلام عنه .

(٢) لم أقف عليه فى شىء من كتب أهل العلم . وهو معارض للآيات والأحاديث الصحيحة التى تدل على رؤية الله فى الآخرة ولايبعد أن يكون موضوعا من قبل أهل الاعتزال .

(٣) انظر : شرح الأصول ص٢٦٨-٢٧٠ .

(٤) المرجع السابق ص٢٧٠ .

(٥) الكشاف ٢/٩٢ .

موقف السلف من رؤية الله ، والجواب على شبه المعتزلة :

لقد اتفق سلف هذه الأمة وأئمتها من أهل السنة والجماعة على أن الله سبحانه يرى فى الدار الآخرة ، يراه المؤمنون رؤية حقيقية تليق به سبحانه وتعالى من غير إحاطة ولاكيفية .

كمااتفقوا على أنه لايراه أحد بعينى رأسه فى الدنيا ، وذلك لقوله تعالى لموسى {لن ترانى}(١)، ولقول النبى صلى الله عليه وسلم : "تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت"(٢). وهى وإن كانت جائزة عقلاً وليست بمستحيلة إلا أن البشر لايطيقون رؤيته فى هذه الدار لعجز أبصارهم وضعفها . ولذا من ادعى رؤية الله فى الدنيا بعينى رأسه فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة . وهو ضال(٣).

وإنما الخلاف فى رؤية نبينا صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل بعينيه فى الدنيا، فأثبت ذلك قوم ونفاه آخرون . والصحيح أنه لم يره بعينيه لقوله فى حديث أبى ذر : "نور أنى أراه" . وفى رواية "رأيت نوراً"(٤).

وموضوع رؤية الله فى الآخرة من أشرف مسائل أصول الدين، وهى أعظم أنواع النعيم الذى خص الله به أولياءه وحرمه أعداءه .

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٤٣

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٢٣٠/٢ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٠٨ .
والحديث أخرجه مسلم فى صحيحه ، من حديث بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . كتاب الفتن وأشراط الساعة (٥٢) ، باب ذكر ابن صياد (١٩) برقم ٢٩٣١ ، ٢٢٤٥/٤ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٣٨٩/٣ ، بيان تلبيس الجهمية ٣٥٨/١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٥ ، لوامع الأنوار ٢٨٥/٢ ، الجامع لأحكام القرآن ٥٥/٧ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٢٣٠/٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٦،١٩٧ ، رؤية الله تعالى ص١٣٠ .
والحديث : أخرجه مسلم فى صحيحه بروايتيه . كتاب الإيمان (١) ، باب فى قوله عليه السلام : "نور أنى أراه"، وفى قوله : "رأيت نورا" (٧٨) برقم ١٧٨ ، ١٦١/١

قال السفارينى رحمه الله :

"ورؤية الله رب العالمين أعظم وأجل وأشرف وأنعم نعيم الجنة قدراً وأعلاه وأغلاه خطراً وأمراً ، وهى الغاية القصوى والنهاية العظمى التى شمر إليها السابقون وتنافس فيها المتنافسون واتفق الأنبياء والمرسلون والصحابة والتابعون وأئمة السلف والدين على ثبوتها فى دار القرار من غير شك ولاإنكار وإنما أنكرها أهل البدع والضلال والتجهم والاعتزال"(١).

وقد تضافرت على إثباتها أدلة الكتاب والسنة ، وأجمع على ذلك سلف الأمة(٢).

وهذه بعض النصوص التى تدل على إثباتها من القرآن الكريم والسنةالنبوية وأقوال سلفنا الصالح .

(أ) **القرآن الكريم** :

(١) قوله تعالى :

{ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين}(٣).

وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة :

أحدها : إنه لايظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه مالايجوز عليه ، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال .

الوجه الثانى : إن الله سبحانه لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالاً لأنكره عليه . ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف

---

(١) لوامع الأنوار ٢٤١/٢ .
وانظر : حادى الأرواح ص٢١٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٨٩ .

(٢) انظر : حادى الأرواح ص٢١٢ ، لوامع الأنوار ٢٤١/٢ ، شرح لمعة الاعتقاد ص٤٩،٥٠ .

(٣) سورة الأعراف : آية ١٤٣

يحيي الموتى لم ينكر عليه . ولما سأل عيسى بن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله . ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال : {إني أعظك أن تكون من الجاهلين}(١).

الوجه الثالث : إنه أجابه بقوله : "لن ترانى" ولم يقل لاترانى ولاأنى لست بمرئى ، ولاتجوز رؤيتى ، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله . وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ولكن موسى لاتحتمل قواه رؤيته فى هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى .

الوجه الرابع : قوله تعالى : {ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى} . فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لايثبت لتجليه له فى هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذى خلق من ضعف.

الوجه الخامس : إن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بممتنع فى مقدوره ، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالاً فى ذاتها لم يعلقها بالممكن فى ذاته . بل لو كانت محالاً لكان ذلك نظير أن يقول : إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام.

الوجه السادس : قوله سبحانه وتعالى : {فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً} وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذى هو جماد لاثواب له ولاعقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه فى دار كرامته ويريهم نفسه؟ فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته فى هذه الدار فالبشر أضعف .

الوجه السابع : إن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه وخاطبه وناجاه وناداه ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبة كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ، ولهذا لايتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم(٢).

---

(١) سورة هود : آية ٤٦

(٢) حادى الأرواح ص٢١٢-٢١٣ بتصرف .

وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص١٩١-١٩٢ .

(٢) قوله تعالى : {وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة}(١).

قال ابن عباس : "تنظر إلى وجه ربها عز وجل" .

وقال الحسن(٢): "نظرت إلى ربها فنضرت بنوره" .

وقال عكرمة(٣): "الى ربها ناظرة" . تنظر إلى ربها نظراً".

وذكر اللالكائى رحمه الله أنه قد قال بذلك جماعة من التابعين ، واستدل بالآية على جواز الرؤية مالك والشافعى رحمهما الله(٤).

وهو قول المفسرين من أهل السنة(٥).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : "{وجوه يومئذ ناضرة} من النضارة أى حسنة بهية مشرقة مسرورة . {إلى ربها ناظرة} : أى تراه عياناً"(٦).

---

(١) سورة القيامة : آية ٢٢،٢٣

(٢) الحسن :

هو الحسن بن أبى الحسن البصرى ، واسم أبيه : يسار ، الأنصارى ، مولاهم ، ثقة فقيه ، فاضل ، مشهور ، كان يرسل كثيراً ويدلس .

روى عن عمران بن حصين ، وأبى موسى ، وابن عباس . وعنه ابن عون ويونس . مات سنة ١١٠هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٣/٤٠-٤٢ ، الطبقات الكبرى ١٥٦/٧ ، تذكرة الحفاظ ٦٦/١ ، الكاشف ٢٢٠/١ ، تهذيب التهذيب ٢٦٣/٢ ، تقريب التهذيب ١٦٥/١ .

(٣) عكرمة :

هو عكرمة بن عبد الله ، مولى ابن عباس ، أصله بربرى ، ثقة ثبت ، عالم بالتفسير ، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ، ولايثبت عنه بدعة . روى عن ابن عباس ، وعائشة ، وأبى هريرة . وعنه إبراهيم النخعى ، والشعبى ، وخلق . مات سنة ١٠٧هـ وقيل بعدها .

انظر : طبقات ابن سعد ٢٨٧/٥ ، الجرح والتعديل ٧/٧ ، تذكرة الحفاظ ٩٥/١ ، ميزان الاعتدال ٩٣/٣ ، تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧ ، تقريب التهذيب ٣٠/٢ .

(٤) انظر : شرح اعتقاد أهل السنة ٤٦٤/٢ .

(٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٠ .

(٦) تفسير القرآن العظيم ٤٥٠/٤ .

(٣) قوله تعالى :

{للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولايرهق وجوههم قتر ولاذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون}(١).

الحسنى : هى الجنة ، والزيادة : هى النظر إلى وجه الله الكريم ، بذلك فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعون وأئمة السلف رضى الله عن الجميع .

روى مسلم بسنده إلى صهيب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل . ثم تلا هذه الآية : {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة}(٢).

قال ابن القيم رحمه الله :

"ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التى هى الجنة دل على أنها أمر آخر وراء الجنة وقدر زائد عليها"(٣).

(٤) قوله تعالى : {لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد}(٤).

جاء عن على وأنس رضى الله عنهما أن المزيد هو النظر إلى وجه الله تعالى(٥).

---

(١) سورة يونس : آية ٢٦

(٢) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤٥٥/٢ فما بعدها ، الاعتقاد ص٧٦،٧٧ ، الجامع لأحكام القرآن ٣٣٠/٨ ، حادى الأرواح ص٢١٤-٢١٥ ، تفسير القرآن العظيم ٤١٤/٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٠ .
والحديث أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإيمان (١) ، باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (٨٠) برقم ١٨١ ، ١٦٣/١ .

(٣) حادى الأرواح ص٢١٥ .

(٤) سورة ق : آية ٣٥

(٥) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤٦٩/٢ ، الجامع لأحكام القرآن ٢١/١٧ ، حادى الأرواح ص٢١٦ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٠ .

(٥) قوله تعالى : {وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً}(١).

قال الرازى : "فإن إحدى القراءات فى هذه الآية فى "ملكاً" بفتح الميم وكسر اللام ، وأجمع المسلمون على أن ذلك الملك ليس إلا الله تعالى ، وعندى أن التمسك بهذه الآية أقوى من التمسك بغيرها"(٢).

(٦) قوله تعالى : {واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه}(٣).

وقوله تعالى : {تحيتهم يوم يلقونه سلام}(٤).

وقوله تعالى : {فمن كان يرجو لقاء ربه}(٥).

وقوله تعالى : {قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله}(٦).

أجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحى الذى سلم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية(٧).

(٧) قوله تعالى : {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون}(٨).

قال الزجاج : "فى هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يرى فى القيامة ، ولولا ذلك ماكان فى هذه الآية فائدة، ولاخصت منزلة الكفار بأنهم يحجبون" .

وقال مالك بن أنس فى هذه الآية : "لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه" .

---

(١) سورة الإنسان : آية ٢٠

(٢) التفسير الكبير ١٣١/١٣ .
وانظر : رؤية الله تعالى ص١٠٠ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٢٣

(٤) سورة الأحزاب: آية ٤٤

(٥) سورة الكهف : آية ١١٠

(٦) سورة البقرة : آية ٢٤٩

(٧) حادى الأرواح ص٢١٣-٢١٤ بتصرف . وانظر : الاعتقاد ص٧٦ .

(٨) سورة المطففين : آية ١٥

وقال الشافعى : "لما حجب قوماً بالسخط ، دل على أن قوماً يرونه بالرضا . ثم قال : أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه فى المعاد لما عبده فى الدنيا"(١).

وجمهور المفسرين ذهبوا إلى تفسير حجب الكفار عن ربهم بالمنع من رؤيته يوم القيامة(٢).

(ب) **أدلة السنة :**

أما الأحاديث الصحيحة التى تدل على رؤية الله فى الآخرة فهى كثيرة متوافرة بلغت حد التواتر ، فى الصحاح والسنن والمسانيد ، وقد اعتنى بجمعها أئمة كالدارقطنى وأبى نعيم وأبى بكر الآجرى وغيرهم(٣). وقد رواها عن النبى صلى الله عليه وسلم نحو ثلاثين صحابياً(٤)، ونص على تواترها جماعة من الأئمة(٥).

من تلك الأحاديث :

(١) روى البخارى بسنده إلى جرير قال :

"كنا جلوساً عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٦١/١٩ .

(٢) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢٦٦/٢ فما بعدها ، الاعتقاد ص٨٣ ، حادى الأرواح ص٢١٦ ، تفسير القرآن العظيم ٤٨٥/٤، ٤٨٦ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩١ ، شرح لمعة الاعتقاد ص٤٩ ، رؤية الله تعالى ص٢٢٢ .

(٣) انظر بيان تلبيس الجهمية ٣٤٨/١ .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاويةص١٩٤ .

(٥) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٣٤٨/١ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٦٢ ، حادى الأرواح ص٢١٩ ، تفسير القرآن العظيم ١٦٢/٢ ، ٤٥٠/٤، ٤٨٦ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٣ ، رؤية الله تعالى ص٢٢٢ .

الشمس فافعلوا"(١).

وفى رواية عنه رضى الله عنه قال : "قال النبى صلى الله عليه وسلم : إنكم سترون ربكم عياناً"(٢).

(٢) وروى بسنده إلى أبى هريرة :

" أن الناس قالوا : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون فى القمر ليلة البدر؟ قالوا : لايارسول الله ، قال فهل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا لايارسول الله. قال : فإنكم ترونه كذلك ..." الحديث(٣).

(٣) وروى بسنده إلى أبى موسى الأشعرى :

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما ، ومابين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى : {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} (٢٤) ، ١٧٩/٨ .
وأخرجه بلفظ مقارب فى كتاب المواقيت (٩) ، باب فضل صلاة العصر (١٦) ، ١٣٨/١ ، وفى باب فضل صلاة الفجر (٢٦) ، ١٤٣/١ ، وفى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة ق ، (٥٠) ، باب وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب (٢) ، ٤٨/٦ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ مقارب فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥) ، باب فضل صلاتى الصبح والعصر والمحافظة عليهما (٣٧) ، برقم ٦٣٣ ، ٤٣٩/١ .

(٢) هذه الرواية أخرجها البخارى فى صحيحه ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} (٢٤) ، ١٧٩/٨ .

(٣) صحيح البخارى فى الكتاب والباب السابقين ١٧٩/٨ .
وأخرجه بلفظ مقارب فى كتاب الرقاق (٨١) ،باب الصراط جسر جهنم (٥٢) ، ٢٠٥/٧ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان (١) ، باب معرفة طريق الرؤية (٨١) برقم ١٨٢ ، ١٦٣/١-١٦٤ .
وأخرج نحوه فى كتاب الزهد والرقاق (٥٣) برقم ٢٩٦٨ ، ٢٢٧٩/٤-٢٢٨٠ .

إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن"(١).

(ج) **آثار السلف :**

وأما الآثار التى وردت عن سلفنا الصالح رضوان الله عليهم فى إثبات رؤية الله جل ذكره فى الآخرة للمؤمنين فهى أكثر من أن تذكر ، ويكفينا فى هذا المقام أن نشير إلى بعضها ، وفى القليل مايغنى عن الكثير .

(١) قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله :

"من كذب بالرؤية فهو زنديق" . وقال : "نؤمن بها أى الرؤية وأحاديثها ونعلم أنها حق فنؤمن بأن الله يرى ، نرى ربنا يوم القيامة لانشك فيه ولانرتاب" . وقال : "من زعم أن الله لايرى فى الآخرة فقد كفر بالله ، وكذب بالقرآن ، ورد على الله أمره ، يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل"(٢).

(٢) قال الأوزاعى رحمه الله :

"إنى لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهماً وأصحابه أفضل ثوابه الذى وعده أولياءه حين يقول : {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذى وعد أولياءه"(٣).

(٣) قال الربيع بن سليمان(٤):

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى : {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} (٢٤) ، ١٨٥/٨ .
وأخرجه فى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة الرحمن (٥٥) ، باب قوله : {ومن دونهما جنتان} (١) ، ٥٦/٦ ، إلا أنه قال : "رداء الكبر" .
وأخرجه بنحوه كذلك فى التفسير ، باب {حور مقصورات فى الخيام} (٢) ، ٥٦/٦
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان (١) ، باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (٨٠) برقم ١٨٠ ، ١٦٣/١ .

(٢) لوامع الأنوار ٢٤٦/٢ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٠٣/٢ .

(٤) الربيع بن سليمان :
هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادى ، أبو محمد المصرى المؤذن ، صاحب الشافعى . ثقة فقيه . روى عن عبد الله بن وهب والشافعى وأبى صالح . وعنه أبو داود والنسائى وابن ماجه . مات سنة ٢٧٠هـ . =

"حضرت محمد بن إدريس الشافعى وقد جاءته رقعةمن الصعيد فيها : ماتقول فى قول الله تبارك وتعالى : {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون}؟(١)

قال الشافعى : "فلما أن حجبوا هؤلاء فى السخط كان فى هذا دليل على أنهم يرونه فى الرضا".

قال الربيع : قلت : ياأبا عبد الله وبه نقول؟

قال :"نعم وبه أدين الله ، لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله تعالى"(٢).

مما سبق من أدلة يتبين لنا أن رؤية الله عز وجل فى الآخرة ثابتة للمؤمنين دون الكفار(٣)، وإن كان الخلاف قائماً بين العلماء فى رؤية الكفار له فى الموقف(٤).

وأما ماأثارته المعتزلة من شبه زاعمة أنها تنفى بها رؤية الله يوم القيامة ، فهى شبه واهية لاتنهض لمقاومة ماسبق من أدلة ، وقد انقض عليها علماء السلف رضوان الله عليهم فكشفوا عوارها فتساقطت أمامهم شبهة تلو الأخرى ، وتهاوت ، وبان الحق ناصعاً أبيض لالبس فيه ولاغموض .

وهذا بيان ذلك :

زعمهم بأن القول بها حادث بعد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة . زعم باطل وقول منكر مخالف للحقيقة والواقع ، فالآيات السابقة شاهدة على إثباتها ، وتلك الأحاديث المتواترة التى نصت صراحة على

= انظر : الجرح والتعديل ٤٦٤/٣ ، تذكرة الحفاظ ٥٨٦/٢ ، طبقات الشافعية ١٣٩،١٣٢/٢ ، تهذيب التهذيب ٢٤٥/٣-٢٤٦ ، تقريب التهذيب ٢٤٥/١ .

(١) سورة المطففين : آية ١٥

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٠٦/٢ . وانظر: مناقب الشافعى ٤١٩/١ .

(٣) انظر : شرح لمعة الاعتقاد ص٥٠ .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٦ .

وقوعها ، وانعقد على ذلك إجماع السلف رضى الله عنهم . بل القول بنفيها هو البدعة والإحداث فى الدين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"ومسألة الرؤية كانت من أكبر المسائل الفارقة بين السنة المثبتة وبين الجهمية حتى كان علماء أهل الحديث والسنة يصنفون الكتب فى الإثبات ويقولون "كتاب الرؤية" و"الرد على الجهمية" وكذلك الأحاديث التى تنكرها الجهمية من أحاديث الرؤية ومايتبعها ، ويعدون من أنكر الرؤية معطلاً"(١).

دعواهم أنه لايراه إلا من اعتقده جسماً وشبهه بخلقه ومايلزم ذلك من لوازم باطلة - على رأيهم - .

إن التجسيم والتشبيه من الأمور التى رانت على أذهان أهل الاعتزال وخيمت على عقولهم حتى حجبت عنهم نور الحق ، فظلوا فى ظلام دامس ، ولذلك كلما سطعت أمام أبصارهم أنوار الأدلة التى تثبت الكمال لله كنصوص الرؤية سارعوا إليها محاولين إطفاءها بحجة أنها تجسيم وتشبيه ، والعلة فى ذلك عجز عقولهم عن الخلاص من وحل التجسيم ونتن التشبيه ، وقد سبق بيان ذلك فى حديثنا عن الصفات(٢).

فقد انطلق المعتزلة فى نفى الرؤية من قاعدة التجسيم والتشبيه كما نفوا من قبل الصفات بذلك ، وماأجيبوا به هنالك يجابون به هنا .

ونفيهم للرؤية عن الله لاتنزيه لهم فيه ، بل تنزيه الله يكون بإثبات صفات الكمال له ونفى مايضادها ، وإثبات الرؤية له سبحانه صفة كمال ، ونفيها عنه تعطيل ، لأن المعدوم لايرى(٣).

قال الطحاوى رحمه الله :

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ٣٤٩/١ .

(٢) انظر ص : ١٤٨ فما بعدها .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢١٢ .

"ولايصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم ، أو تأولها بفهم ، إذ كان تأويل الرؤية ـ وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ـ بترك التأويل ، ولزوم التسليم ، وعليه دين المسلمين ، ومن لم يتوق النفى والتشبيه ، زل ولم يصب التنزيه"(١).

وهاهو شيخ الإسلام رحمه الله ينبرى لمقارعة المعتزلة مستخدماً سلاح العقل الذى يدّعوه ، وإن كان البون شاسعاً بين عقل استنار بضوء النصوص وبين عقول غطتها ظلم الشبهات ، وقد فند رحمه الله لوازمهم التى ألصقوها بمن يثبت الرؤية . يقول :

"ومن أراد أن يناظر مناظرة شرعية بالعقل الصريح فلايلتزم لفظاً بدعياً ولايخالف دليلاً عقلياً ولاشرعياً ، فإنه يسلك طريق أهل السنة والحديث والأئمةالذين لايوافقون على إطلاق الإثبات ولاالنفى ، بل يقولون : ماتصفون بقولكم "إن كل جسم مرئى"؟ فإن فسروا ذلك بأن كل مرئى يجب أن يكون قد ركبه مركب ، أو أن يكون متفرقاً فاجتمع ، أو أنه يمكن تفريقه ، ونحو ذلك ، منعوا هم المقدمة الأولى ، وقالوا : هذه السموات مرئيةمشهورة ، ونحن لانعلم أنها كانت متفرقة مجتمعة ، وإذا جاز أن يرى مايقبل التفريق فما لايقبله أولى بامكان رؤيته .

وإن قالوا مرادنا أن المرئى لابد أن يكون معايناً تجاه الرائى ، وماكان كذلك فهو جسم . ونحو هذا الكلام ، قالوا لهم : الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قال : "إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر"، وقال "هل تضامون فى رؤية الشمس صحواً ليس دونها سحاب"؟ قالوا : لا . قال "هل تضامون فى رؤية القمر ليس دونه سحاب"؟ قالوا : لا . قال : "فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر"(٢)، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية ، لاالمرئى بالمرئى ...

---

(١) متن العقيدة الطحاوية ص١٠ .

(٢) سبق تخريجه . انظر ص : ١٩١

فهذه النصوص يصدق بعضها بعضاً ، والعقل أيضا يوافقها ، ويدل على أنه سبحانه مباين لمخلوقاته ، فوق سمواته ، وأن وجود موجود لامباين للعالم ولامجانس له محال فى بديهة العقل ، فإذا كانت الرؤية مستلزمة لهذه المعانى فهذا حق ، وإذا سميتم أنتم هذا قولاً بالجهة وقولاً بالتجسيم لم يكن هذا القول نافياً لما علم بالشرع والعقل ، إذا كان معنى هذا القول ـ والحال هذه ـ ليس منتفياً لابشرع ولابعقل "(١).

زعمهم أنه لايرى نفسه لأن ذاته لاترى ، واختلافهم فى رؤيته لغيره .

لقد أفرط المعتزلة فى النفى حتى وصل بهم الأمر إلى أن يعطلوا الله سبحانه من أن يرى نفسه أو يراه غيره ، أو يرى غيره ، وإن كان بعضهم أثبت أنه يرى غيره ولايرى نفسه . ولكن من وصف بأنه لايرى ماذا يكون حكمه؟ أليس هو الأعمى؟ تعالى الله عما يقول المبطلون علواً كبيراً ، ومن وصف بأنه لايرى أيكون ذلك مدحاً فى حقه أم ذماً ، ويكون صفة كمال أم نقص؟ فقولهم هذا فى النفى أدى بهم إلى التعطيل ثم هو تشبيه لله بالمعدوم(٢).

لقد وصف الله نفسه بأنه يرى فى أكثر من آية ولم يخصص ولم يستثن فقال لموسى وهارون عليهما السلام : {قال لاتخافا إننى معكما أسمع وأرى}(٣)، وقال سبحانه : {ألم يعلم بأن الله يرى}(٤)، وقال سبحانه : {وتوكل على العزيز الرحيم . الذى يراك حين تقوم}(٥). بل عاب الأصنام التى لاتصلح أن تكون آلهة لأنها لاتسمع ولاتبصر ، فقال على لسان إبراهيم عليه السلام : {ياأبت لم تعبد مالايسمع ولايبصر ولايغنى عنك شيئا}(٦).

---

(١) موافقة صحيح المنقول ١/١٩٠-١٩١ .
(٢) انظر : رؤية الله تعالى ص١٢٠،١٢١ .
(٣) سورة طه : آية ٤٦
(٤) سورة العلق : آية ١٤
(٥) سورة الشعراء : آية ٢١٧-٢١٨
(٦) سورة مريم : آية ٤٢

الوجودية المحضة ، فهو أحق بأن تجوز رؤيته لكمال وجوده(١).

فالعقل لايمنع جواز رؤية الله كما أن نصوص الشرع جاءت مصرحة بإثباتها خلافاً لمزاعم المعتزلة(٢).

وأما أدلتهم التى زعموا أنها تنفى الرؤية فالرد عليها كما يلى :

ونبدأ بأدلتهم العقلية ، لأن فارس الميدان هنا هو العقل كما كان دوماً ، فلامزاحم له ، ولامعارض ، وقد اعتمدوا من جهته على طريقين فى نفيها، كلاهما ينحدر ليصب فى مصب الجسمية والتشبيه ، إذ العقل عندهم مكبل ومقيد بشبح التجسيم فلاخلاص له منه ، وقد أوصد أمامه المنافذ وأخذ بتلابيبه ، فلامفر له منه ، ولانجاة .

وخلاصة ماذكروا فى دليلى العقل :

(١) إن الشىء إنما يرى إذا كان مقابلاً ، أو حالاً فى المقابل ، أو فى حكم المقابل ، وهذه من صفات الأجسام . وهى ممتنعة فى حق الله لأنه ليس بجسم .

(٢) لكى تصح الرؤية لابد من وجود رائى ومرئى ولاتوجد موانع من حدوث الرؤية بينهما . والموانع ترجع إلى الشعاع الذى هومن صفات الأجسام ، والله ليس بجسم فتمتنع رؤيته لذلك .

أما الإجابة عن الأول :

فإنه يستحيل فى العقول أن تثبت رؤية حقيقية عياناً بغير مقابلة ولاجهة ، لأن ذلك من لوازم الرؤية . وقد أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤية الله مشبهاً إياها برؤية الشمس والقمر فقال : "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته"(٣)الحديث .

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية ١/٣٥٨،٣٧٥ .

(٢) انظر : رؤية الله تعالى ص٢١٦-٢١٧ .

(٣) الحديث سبق تخريجه انظر ص: ١٩١ .

فشبه الرؤية بالرؤية لاالمرئى بالمرئى ، ونحن إنما نرى الشمس والقمر من فوقنا وبمقابلة ، وكذا المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة من فوقهم عياناً . فهو سبحانه إنما يرى من جهة العلو(١).

والجهة لفظ مجمل لم يرد نفيها ولاإثباتها فلها حكم الألفاظ المجملة ، وهو التفصيل ، وقد سبق بيان ذلك(٢).

يقول ابن أبى العز رحمه الله :

"وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهاً لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية ، لاتشبيه المرئى بالمرئى ، ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه .

وإلا فهل تعقل رؤية بلامقابلة؟ ومن قال : يرى لافى جهة فليراجع عقله!! فإما أن يكون مكابراً لعقله وفى عقله شىء ، وإلا فإذا قال يرى لاأمام الرائى ولاخلفه ولاعن يمينه ولاعن يساره ولافوقه ولاتحته ، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة . ولهذا التزم المعتزلة من نفى العلو بالذات بنفى الرؤية ، وقالوا : كيف تعقل رؤية بلامقابلة،بغير جهة؟

ويقال لمن قال بنفى الرؤية لانتفاء لازمها وهو الجهة : أتريد بالجهة أمراً وجودياً؟ أو أمراً عدمياً؟ فإن أراد بها أمراً وجودياً كان التقرير : كل ماليس فى شىء موجود لايرى ، وهذه المقدمة ممنوعة ، ولادليل على إثباتها بل هى باطلة ، فإن سطح العالم يمكن أن يرى ، وليس العالم فى عالم آخر . وإن أردت بالجهة أمراً عدمياً ، فالمقدمة الثانية ممنوعة ، فلانسلم أنه ليس فى جهة بهذا الاعتبار"(٣).

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٣٥٩/١ ، حادى الأرواح ص٢٥٢ ، وانظر : موافقة صحيح المنقول ١٩٢،١٩١/١ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٦٢ ، رؤية الله تعالى ص٦١ .

(٢) انظر ص ١٥٠ وما بعدها .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٥ .

وأما الإجابة عن الدليل الثانى ، فإن مما لاشك فيه أن القول بخروج شعاع من العين ، أو وروده إليها ، أو مايقع للنفس من حالة خاصة عند مقابلة العين للمرئى سبب للرؤية ، وخالق الأسباب والمسببات إنما هو الله تعالى ، والأسباب التى تحصل بها الرؤية ليست فاعلة ، إنما هى أسباب لها ، مخلوقة لله تعالى ، كما قال تعالى : {والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها}(١)، فإحياء الأرض إنما يكون بوجود الماء المخلوق المنزل ، والفاعل الحقيقى إنما الله الذى أوجد الأسباب ومسبباتها ، لاالسبب المباشر وحده(٢).

ثم لايلزم من وجود ماذكروه من موانع امتناع الإبصار ، ولامن امتناعها وجوده .

ومثال مايؤيد ذلك :

رؤية الجسم الكبير من البعد صغيراً فإن كانت الرؤية لجميع أجزائه ، وجب ألا يرى صغيراً ، وإن لم ير شيئاً من أجزائه ، وجب ألا يرى . وإن رئى بعض أجزائه دون بعض مع أن جميع الأجزاء بالنسبة إلى الموانع أو عدمها سواء لزم عدم الوجوب أو الامتناع(٣).

والمعتزلة إنما قاسوا أمور الآخرة بأمور الدنيا فنفوا وقوع الرؤية فى الآخرة اعتماداً على عدم وقوعها فى الدنيا . فجعلوا موانع وقوعها فى الدنيا موانع لوقوعها فى الآخرة.

وهذا قياس عقلى محض ، وهو باطل ، لأن الحياة الأخرى أمرها يباين الحياة الدنيا . وقد سبق الإشارة إلى ذلك(٤).

ولذا نجد أن السلف قالوا بجواز وقوعها ، مع حكمهم بعدم الوقوع فى الدنيا ، وأجمعوا على حصول ذلك فى الآخرة .

---

(١) سورة النحل : آية ٦٥

(٢) رؤية الله تعالى ص٢٠ بتصرف .

(٣) انظر : الأربعين فى أصول الدين للرازى ص٢١٥ ، رؤية الله تعالى ص٦٨ .

(٤) انظر ص : ١٤١

قال الشاطبي رحمه الله :

"رؤية الله في الآخرة جائزة ، إذ لادليل في العقل يدل على أنه لارؤية إلا على الوجه المعتاد عندنا ، إذ يمكن أن تصح الرؤية على أوجه صحيحة ليس فيها اتصال أشعة ولامقابلة ولاتصور جهة(١)، ولافضل جسم شفاف ولاغير ذلك ، والعقل لايجزم بامتناع ذلك بديهة ، وهو إلى القصور في النظر أميل ، والشرع قد جاء بإثباتها فلامعدل عن التصديق"(٢).

والله سبحانه وتعالى لايرى في الدنيا لأن أبصار الخلق تعجز عن رؤيته فيها لضعفها وعجزها لالامتناع رؤيته ، فهذه الشمس إذا حدق الرائي بصره فيها عجز عن رؤيتها لضعفه عن ذلك وليس لامتناع رؤيتها .

فعدم وقوع الرؤية في الدنيا لايمنع من وقوعها في الآخرة .

ثم إن المعتزلة في الحقيقة إنما قاسوا الله سبحانه بخلقه فأجروا عليه أحكامهم ، وهذا هو التشبيه الذي وصمواغيرهم به ، وأرادوا أن يفروا منه فعطلوا الله عن مايستحقه من الكمال الذي من بينه الرؤية .

هذا عن أدلتهم العقلية التي اعتمدوا عليها اعتماداً كلياً في الاستدلال فنفوا بها رؤية الله تعالى ، وهي لاتصلح للاحتجاج ، وقد وضح من الرد ضعفها ، ومعارضة أدلة العقول السليمة لها .

وأما أدلتهم النقلية التي لجأوا اليها لتأييد ماسبق من شبه عقلية لاتدل على ماذهبوا إليه من نفي الرؤية في الآخرة . ومن المعلوم أن أدلة النقل عندهم تابعة لامتبوعة ، وهم إنما يفرون إليها إذا ألجأتهم الضرورة لذلك واعتقدوا أن فيها مايؤيد مزاعمهم ، وإلا دفعوا في صدورها بالرد والتأويل المتعسف .

---

(١) قوله "ولامقابلة" خلاف ماجاء عن السلف لأنه لارؤية إلا بمقابلة كما سبق ذكره ، والجهة فيها تفصيل سبق بيانه أيضا . انظر ص١٥٠ فما بعدها

(٢) الاعتصام ٢/٣٣٠ .

فمما استدلوا به ولاحجة لهم فيه :

(١) قوله تعالى :

{لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير}(١).

ولهم وجهان فى الاستدلال بها كما مر فى العرض ، وخلاصتهما :

الأول : إن الإدراك المقرون بالبصر لايحتمل إلا الرؤية وقد نفى والنفى عام فى جميع الأوقات والأزمان .

الثانى : إن الله تمدح بكونه لايرى - على فهمهم - وماكان عدمه مدحاً كان وجوده نقصاً يجب تنزيه الله عنه .

والجواب عن الوجه الأول :

ليس الإدراك هو الرؤية ، وإنما هو قدر زائد على الرؤية ، لأن الإدراك هو الإحاطة بالشىء ، والله يرى ولايدرك ، كما يعلم ولايحاط به علماً ، قال تعالى : {فلما تراءى الجمعان ، قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معى ربى سيهدين}(٢). فنفى موسى عليه السلام الإدراك مع إثبات الترائى بينهم ، فعلم أنه قد يكون رؤية بلاإدراك ، فقوله سبحانه وتعالى : {لاتدركه الأبصار} يدل على غاية عظمته وأنه أكبر وأجل من أن يدرك بحيث يحاط به ، وليس فى ذلك نفى لرؤيته ، بل فى الآية دليل عليها لأن تخصيص الإدراك وهو الإحاطة بالنفى ، يقتضى أن مطلق الرؤية ليس بمنفى . وهذا الجواب قول أكثر العلماء من السلف وغيرهم(٣).

الجواب عن الوجه الثانى :

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٣

(٢) سورة الشعراء : آية ٦١-٦٢

(٣) انظر : بيان تلبيس الجهمية ١/٥٥٣-٥٥٤ ، حادى الأرواح ص٢١٧ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٣،١٩٨ ، وانظر مع ذلك : الاعتقاد ص٧٦ ، الفصل فى الملل ٣/٢-٣ ، مجموع الفتاوى ٣/٣٦-٣٧ ، تفسير القرآن العظيم ٢/١٦٢ ، فتح البارى ١٣/٤٢٦ .

إن الله عز وجل ذكر هذه الآية فى سياق المدح لنفسه سبحانه وتعالى ومن المعلوم أن المدح لايكون إلا بالصفات الثبوتية ، وأما النفى أو العدم المحض لايكون فيه مدح إلا إذا تضمن أمراً ثبوتياً ، كمدحه سبحانه وتعالى نفسه بنفى السنة والنوم المتضمن كمال قيوميته ، فلو أن المنفى فى الآية هو الرؤية لما كان فى ذلك مدح ولاكمال لمشاركة المعدوم له فى ذلك لأن المعدوم لايرى . وإنما المدح فى كونه تعالى أنه يرى لأن الرؤية صفة كمال لانقص، ولكنه لعظمته وأنه أكبر من كل شىء فلايدرك ولايحاط به(١).

(٢) قوله تعالى :

{ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين}(٢).

ومختصر أوجه استدلالهم من الآية :

الأول : قوله : "لن ترانى" .

أنكر على موسى طلبه فغيره أولى بالإنكار .

وطلب موسى إنما كان تبكيتاً للذين طلبوا الرؤية فقالوا : {أرنا الله جهرة}(٣)فبين لهم استحالة ذلك بقوله : {لن ترانى} أوطلبه لمعرفة الله ضرورة فأجابه بقوله : {لن ترانى} ليبين له أن مع التكليف لايجوز أن يعرفه باضطرار .

الثانى :إن "لن" تفيد تأبيد النفى ، مثل قوله تعالى : {لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له}(٤).

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٥٥٤/١ ، مجموع الفتاوى ٣٦/٣-٣٧ ، حادى الأرواح ص٢١٧ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٢-١٩٣ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٤٣

(٣) سورة النساء : آية ١٥٣

(٤) سورة الحج : آية ٧٣

وكقوله تعالى : {فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس}(١)الآية .

فقوله : "لن ترانى" تأكيد للنفى فى قوله : {لاتدركه الأبصار}(٢).

الثالث : قوله تعالى : {ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً}.

فإنه تعالى علق الرؤية باستقرار الجبل وهو مستحيل ، فدل على استحالتها.

والمراد بالتجلى : إظهار آياته وقدرته للجبل ، وليس تجلى ذاته ، لأنه يلزم من ذلك أن يندك العرش ، وأن يراه من على الجبل .

الرابع : {وخر موسى صعقاً} .

أى مغشياً عليه كغشية الموت ، ولكزته الملائكة لطمعه فى رؤية ماهو مستحيل عليه.

الخامس : قوله تعالى : {سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين}.

أى أنزهك مما لايجوز عليك من الرؤية ، وأتوب إليك من طلبها وإجراء تلك المقالة العظيمة على لسانى من غير إذن منك ، وأنا أول المؤمنين بأنك لست بمرئى .

ويجاب على هذه الأوجه بالآتى :

الوجه الأول :

إن موسى عليه السلام إنماطلب الرؤية لنفسه ولم يطلبها لغيره وذلك فى قوله : {رب أرنى أنظر إليك}(٣)، ولم يطلب عليه السلام شيئاً مستحيلاً ، إنما طلب ماهو جائز فى العقل ، لأنه لايظن بكليم الله ورسوله وأعلم الناس

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٤

(٢) سورة الأنعام : آية ١٠٣

(٣) انظر : الإنصاف لابن المنير مطبوع مع الكشاف ٨٩/٢ .

فى وقته بربه أن يطلب مالايجوز عليه ، بل ذلك محال(١).وقول الله له"لن ترانى" : أى فى الدنيا لأن بصر موسى عليه السلام لايحتمل رؤية الله فى هذه الدنيا وهذا بخلاف حكم الآخرة(٢).

ثم ان تبكيت موسى عليه السلام لبنى إسرائيل ليس لأنهم طلبوا ماهو مستحيل فى حق الله بل إنما طلبوا ذلك تعنتاً وعناداً وإنكاراً للإيمان بنبوة موسى عليه السلام .

قال أبو الحسن الأشعرى رحمه الله :

"إن بنى إسرائيل سألوا رؤية الله عز وجل على طريق الإنكار لنبوة موسى ، وترك الإيمان به حتى يروا الله ، لأنهم قالوا : {لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة}(٣)، فلما سألوه الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى عليه السلام حتى يريهم الله سؤالهم من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليه كما استعظم الله سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتاباً من السماء(٤)من غير أن يكون ذلك مستحيلاً ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبى الله حتى ينزل عليهم من السماء كتاباً"(٥).

وقال ابن المنير رحمه الله :

"إن الله تعالى أخبر أنها ـ أى الرؤية ـ لاتقع فى دار الدنيا ، والخبر صدق ، وذلك بعد سؤال موسى للرؤية فلما سألوا وقد سمعوا الخبر بعدم

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٥٥/٧ ، زاد المسير ١٧٤/٣ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩١ ، لوامع الأنوار ٢٨٥/٢ .

(٢) انظر : الرد على الجهمية للدارمى ص٥٥،٥٦ ، زاد المسير ١٧٤/٣ ، فتح البارى ٤٢٦/١٣ .

(٣) سورة البقرة : آية ٥٥

(٤) وذلك فى قوله تعالى : {يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة} . سورة النساء : آية ١٥٣

(٥) الإبانة فى أصول الديانة ص١٥ .

وقوعها كان طلبهم خلاف المعلوم تكذيباً للخبر فمن ثم سفههم موسى عليه السلام وتبرأ من طلب ماأخبر الله أنه لايقع ، ثم ولو كان سؤالهم الرؤية قبل إخبار الله تعالى بعدم وقوعها فإنما سفههم موسى عليه السلام لاقتراحهم على الله هذه الآية الخاصة وتوقيفهم الإيمان عليها حيث قالوا : {لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة}(١)، ألا ترى أن قولهم {لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً}(٢)إنما سألوا جائزاً ومع ذلك قرعوا به لاقتراحهم على الله مالايتوقف وجوب الإيمان عليه"(٣).

ثم الزعم بأنه عليه السلام إنما طلب النظر إلى آية عظيمة أو إلى قدرة الله لكى يتعرف من خلال ذلك على الله ، إنما زعم باطل وادعاء لادليل عليه، بل هو مخالف لقوله تعالى "أنظر اليك" .

قال القرطبى رحمه الله :

"ولايجوز الحمل على أنه أراد أرنى آية عظيمة لأنظر إلى قدرتك ، لأنه قال "إليك" ، و"قال لن ترانى" . ولو سأل آية لأعطاه الله ماسأل ، كما أعطاه سائر الآيات . وقد كان لموسى عليه السلام فيها مقنع عن طلب آية أخرى ، فبطل هذا التأويل"(٤).

الوجه الثانى :

دعواهم أن "لن" تفيد تأبيد النفى على الدوام ، وأن ذلك ينفى رؤية الله فى الآخرة. دعوى فاسدة ، لأن "لن" لاتفيد النفى على الدوام ولو قيدت بالتأبيد فكيف إذا أطلقت؟ قال سبحانه : {ونادوا يامالك ليقض علينا ربك}(٥)فقد تمنوا الموت بعد قوله تعالى : {ولن يتمنوه أبدا}(٦). فلو كانت

---

(١) سورة البقرة : آية ٥٥

(٢) سورة الإسراء : آية ٩٠

(٣) الإنصاف لابن المنير على هامش الكشاف ٨٩/٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/٧ .

(٥) سورة الزخرف : آية ٧٧

(٦) سورة البقرة : آية ٩٥

تفيد النفى على الدوام مع اقترانه بالتأبيد لتناقض الكلام(١). لأن التأبيد قد يراد به التأبيد المقيد أو التأبيد المطلق ، فالمقيد كالتأبيد بمدة الحياة كقولك والله لاأكلمه أبداً ، والمطلق كقولك والله لاأكفر بربى أبداً(٢).

قال ابن مالك مبيناً خطأ المعتزلة فيما ذهبوا إليه :

ومن رأى النفى بلن مؤبداً فقوله اردد وسواه فاعضدا(٣)

وقال صاحب النحو الوافى :

"لن : وهو حرف يفيد النفى بغير دوام ولاتأبيد إلا بقرينة خارجة عنه فإذا دخل على المضارع نفى معناه فى الزمن المستقبل المحض ـ غالباً ـ نفياً مؤقتاً يقصر أو يطول من غير أن يدوم ويستمر ، فمن يقول : لن أسافر ، أو لن أشرب ، أو لن أقرأ غداً ، أو نحو هذا ، فإنما يريد نفى السفر ـ أو غيره ـ فى قابل الأزمنة مدة معينة ، يعود بعدها إلى السفر ونحوه ، إن شاء ، ولايريد النفى الدائم المستمر فى المستقبل ، إلا إن وجدت قرينة مع الحرف "لن" تدل على الدوام والاستمرار ، يدل على هذا قوله تعالى : {فلن أكلم اليوم إنسياً}(٤). فلو كانت "لن" تفيد تأبيد النفى فى المستقبل المحض الخالص لوقع التعارض بينها وبين كلمة "اليوم" فى الآية ، لأن اليوم محدد معين ، وهى غير محددة ولامعينة ، ولوقع التكرار المعيب فى قوله تعالى : {فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبداً}(٥)، فما فائدة كلمة أبداً التى تدل على التأبيد إن كانت "لن" تدل عليه؟

أما التأبيد فى قوله تعالى : {إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له}(٦). فبسبب قرينة خارجية ، هى العلم القاطع المستمد

---

(١) انظر : بدائع الفوائد ٩٦/١-٩٧ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٢ .
(٢) بدائع الفوائد ٩٧/١ بتصرف .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٢ .
(٤) سورة مريم : آية ٢٦
(٥) سورة البقرة : آية ٩٤ - ٩٥
(٦) سورة الحج : آية ٧٣

من المشاهدة الصادقة الدائمة"(١).

وأما استدراك الزمخشرى فى قوله : "ولكن انظر إلى الجبل" يأتى بيانه فى الوجه الذى يليه .

الوجه الثالث :

إن الله علق وقوع الرؤية باستقرار الجبل وذلك ممكن وجائز وليس بممتنع ، وماعلق على الممكن فهو ممكن ، ولو كانت محالاً لما علقها على الممكن وإنما كان يعلقها على محال ، كأن يقول : إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام(٢).

ومن ذلك أن الله علق دخول الكفار الجنة بمستحيل فى قوله : {حتى يلج الجمل فى سم الخياط}(٣)، فدل على استحالة دخولهم فيها ، وهذا بخلاف الرؤية(٤).

وماذكره عبد الجبار من استدراكات حول قوله تعالى : {فلما تجلى ربه للجبل} ، يجاب عليها بالآتى :

قوله "تجلى" قال القرطبى : "معناه ظهر من قولك جلوت العروس أى أبرزتها ، وجلوت السيف : أبرزته من الصدأ جلاء فيهما"(٥).

لقد تجلى الله للجبل وظهر له وأراد بذلك أن يضرب مثالاً لموسى عليه السلام بما هو أقوى من بنيته وأثبت ، فإن استقر الجبل وثبت لرؤيته فسوف يراه موسى ، ولكن الجبل مع قوته لم يطق رؤية الله تعالى فمن باب أولى موسى عليه السلام(٦).

---

(١) النحو الوافى ٢٩٩/٤ .

(٢) انظر : حادى الأرواح ص٢١٣ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩١-١٩٢ ، الإنصاف ٩١/٢ .

(٣) سورة الأعراف : آية ٤٠

(٤) انظر : زاد المسير ١٧٤/٣ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/٧ ، وانظر مادة جلى فى القاموس المحيط ص١٦٤٠-١٦٤١ .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/٧ .

وأما القول بأن المراد بالتجلى إظهار القدرة فهذا تأويل مخالف لنص الآية ومخالف لما جاء عن جمهور المفسرين فى أن المراد بالتجلى الظهور .

وقول عبد الجبار : "لو أراد به تجلى ذاته لم يكن لذلك معنى" .

الصواب خلافه فلو لم يرد تجلى ذاته لم يكن لذلك معنى ، لأن موسى عليه السلام لم يطلب رؤية القدرة وإنما طلب رؤية الذات ، وقد رأى موسى عليه السلام كثيراً من آثار قدرته تعالى .

وقوله : "لو أراد تجلى بمعنى المقابلة لوجب أن لايستقر له مكان بل كان يجب فى العرش أن يصير دكاً ، وأن يكون بهذه الصفة أحق". قول ضعيف جداً ، لأن الله سبحانه قد خلق العرش لهذا الشأن وجعل فيه من القوة والتحمل مايصمد لذلك ، ومثله الكرسى والحجاب .

وقوله : "ولو كان فى الحقيقة تجلى للجبل ، بمعنى أنه أظهر وزال الحجب ، لكان من على الجبل يراه أيضاً ، فكان لايصح مع ذلك قوله : "لن ترانى" وكان لايصح أن يعلق نفى الرؤية بأن لايستقر الجبل ، والمعلوم أنه لايستقر بأن ينكشف ويرى ، لأن ذلك فى حكم أن يجعل الشرط فى أن لايرى مايوجب أن يرى ، وذلك متناقض" .

ويجاب على ذلك بالآتى :

قال سبحانه : {وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلاً ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً}(١).

فإذا جاز أن يقلل الكثير فى العين الصحيحة جاز مع صحتها وارتفاع الموانع أن نراه سبحانه .

فيحق القول بحصول تجلى ذاته للجبل ووجود مانع من رؤيته لما سواه، لأنه قد قضى بأنه لايرى فى الدنيا . ولاتناقض فيما يزعمه لأن الشرط فى الرؤية وعدمها استقرار الجبل وعدمه لاالانكشاف ، وهذا ظاهر(٢).

---

(١) سورة الأنفال : آية ٤٤

(٢) رؤية الله تعالى ص٨٧-٨٩ بتصرف .

الوجه الرابع :

إن موسى عليه السلام لما رأى الجبل صار دكاً وقع مغشياً عليه من هول مارأى ، ولم يمت بدليل قوله تعالى : {فلما أفاق} والإفاقة لاتكون إلا عن غشى(١).

وقيل إنه رأى الله فلذلك خر صعقاً ولكن فى ذلك ضعف،(٢)مع مخالفته لقوله "لن ترانى".

وأما ماذكره الزمخشرى من حكاية لكز الملائكة لموسى أجاب عن ذلك ابن المنير فقال :

"فهذه حكاية إنما يوردها من يتعسف لامتناع الرؤية فيتخذها عوناً وظهراً على المعتقد الفاسد . والوجه التورط بالغلط على ناقلها ، وتنزيه الملائكة عليهم السلام من إهانة موسى صفى الله وكليمه بالوكز بالرجل والغمص فى الخطاب"(٣).

وقد سبق بيان أن موسى عليه السلام لايطلب مستحيلاً على الله لايجوز ، وذلك لمعرفته بربه(٤).

الوجه الخامس :

لقد ذكر العلماء أقوالاً فيما تاب منه موسى عليه السلام :

أحدها : عن سؤاله الرؤية .

الثانى : الإقدام عن المسألة قبل الإذن فيها .

الثالث : اعتقاد جواز رؤيته فى الدنيا(٥).

ويمكن أن يجمع بين هذه الأقوال : بأن موسى عليه السلام سأل ربه الرؤية لاعتقاده بجواز وقوعها فى الدنيا وأنها ليست بمستحيلة ، ولكن الله

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ٢٤٥/٢ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/٧ ، رؤية الله تعالى ص٤٦ .

(٣) الإنصاف على هامش الكشاف ٩١/٢ .

(٤) انظر ص : ١٨٥

(٥) زاد المسير ١٧٤/٣ بتصرف .

عز وجل بين له أنه لايمكنه أن يراه فى الدنيا لعدم استطاعته ذلك ، عندئذ سبح الله ونزهه عن أن يرى فى الدنيا ، وتاب عن سؤاله ذلك بغير إذن من الله ثم بين بأنه أول المؤمنين المعتقدين بأنه لايرى فى الدنيا .

قال ابن كثير رحمه الله :

("قال سبحانك" تنزيهاً وتعظيماً وإجلالاً أن يراه أحد فى الدنيا إلا مات) .. (وأنا أول المؤمنين) أنا أول من آمن بك أنه لايراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة . وهذا قول حسن له اتجاه)(١).

وقال ابن المنير رحمه الله :

"... وأما تسبيح موسى عليه السلام فلما تبين له من أن العلم قد سبق بعدم وقوع الرؤية فى الدنيا والله تعالى مقدس عن وقوع خلاف معلومه ، وعن الخلف فى خبره الحق وقوله الصدق فلما تبين أن مطلوبه كان خلاف المعلوم سبح الله وقدس علمه وخبره عن الخلف .

وأما التوبة فى حق الأنبياء ، فلاتستلزم كونها عن ذنب ، لأن منصبهم الجليل ينبغى أن يكون منزهاً مبرأ من كل ماينحط به ، ولاشك أن التوقف فى سؤال الرؤية على الإذن كان أكمل"(٢).

فتوبة موسى عليه السلام لم تكن عن معصية بإجماع الأمة ، لأن الأنبياء معصومون ، إضافة إلى أن الرؤية جائزة كما هو منهج أهل السنة والجماعة(٣).

وأما قول الزمخشرى : "ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً ولايغرنكم تسترهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم . والقول ماقال بعض العدلية فيهم". فذكر الأبيات السابقة .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٤٥ .

(٢) الإنصاف على هامش الكشاف ٢/٩١-٩٢ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٧٩ .

هـذا القـول من الزمخشرى عظيمـة مـن عظائمه التى سـود بهـا كتـابه ، وشهد بها على نفسه أنه ليس من أهل السنة والجماعة ، فبئس القول وبئست الشهادة .

والمعتزلة أولى بالذم ، لأنهم خاضوا فى دين الله بعقـولهم وأهوائهم ، فأولوا آيات كتاب ربهم وردوا أحاديث نبيهـم ثم لم يقفـوا عنـد ذلك الحد حتى حملـوا على أتباع الرسـول صلى الله عليه وسلم وجنـد الإيمان فـرموهم بكـل داهيـة ونبـة ، فياعجبـاً مـن هؤلاء الذين انغمسـوا فى ظلمـات البـدع والضلال {وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً}(١).

ورحم الله ابن المنير الذى كال لهم الصاع صاعين ، فقال :

وجماعة كفروا برؤية ربهم
حقاً ووعد الله مالن يخلفه
وتلقبوا عدلية قلنا أجل
عدلوا بربهم فحسبهموا سفه
وتلقبوا الناجين كلا إنهم
إن لم يكونوا فى لظى فعلى شفه(٢)

---

(١) سورة الكهف : آية ١٠٤

(٢) الإنصاف على هامش الكشاف ٢/٩٢ .

الجواب على شبهاتهم حول أدلة إثبات الرؤية :

المثال الأول : قوله تعالى : {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة}(١).

واعتراضات أهل الاعتزال على هذه الآية تتلخص فيما يأتى :

أن ظاهرها يقتضى التشبيه ، وأنها من المتشابه ، فيجب أن تأول ، ثم أولوها بالآتى :

(١) النظر غير الرؤية وهو طلب الرؤية .

والمراد فى الآية النظر إلى الثواب كقوله : {واسأل القرية}(٢)، فحذف المضاف .

(٢) النظر يطلق على معانى :

فيراد به طلب الرؤية والانتظار ويراد به التفكر بالقلب .وهو محتمل فى الآية لهذه المعانى .

(٣) أراد بذكر الوجوه جملة الإنسان لاالبعض المخصوص .

ففى الكلام إجمال لأن الجملة إذا وصفت بأنها ناظرة لم يفهم أن المراد به الرؤية.

(٤) المراد بالنظر : التوقع والرجاء .

(٥) المراد ب"إلى"واحدة الآلاء وهى النعم .

ويجاب على ذلك بالآتى :

أولا : زعمهم أن ظاهرها يقتضى التشبيه ، وأنها من المتشابه ، تلك شنشنة طالما سمعناها من أخزم(٣)، فإن أصحاب البدع والأهواء إذا وقفوا على النصوص التى تخالف بدعهم صراحة ضربوا وجوهها بهذين الدائين ، التشبيه والمتشابه ، وحاشا نصوص الكتاب والسنة أن يفيد ظاهرها التشبيه ، وقد سبق إيضاح ذلك فى الحديث عن الصفات بما لايحتاج إلى مزيد (٤)

---

(١) سورة القيامة : آية ٢٢،٢٣

(٢) سورة يوسف : آية ٨٢

(٣) هذا مثل يضرب فى قرب الشبه . مجمع الأمثال للميدانى ٢/١٥٥-١٥٦ .
وانظر كتاب الأمثال لأبى عبيد ص١٤٤ مع الهامش .

(٤) انظر ص١٥٤ فما بعدها .

وموضوع المتشابه والمحكم سبق بيانه أيضا(١)، والأمر ليس مطلقا على عواهنه فكلما جاء أحد إلى نص ما فوجده خلاف مراده أو جهل تفسيره ، أو قامت شبهة فى ذهنه رماه بأنه متشابه وأنه يدل على التشبيه ، فلو كان الأمر كذلك ماسلم لنا نص من النصوص لافى جانب التوحيد ولاالنبوات ولاالمعاد ، ولبطل الاستدلال بها على جميع أمور الدين ، ولفتح الباب على مصراعيه للزنادقة وأعداء الإسلام فانتهكوا حرمة نصوص الوحى وأبدلوا الحق باطلاً والهدى ضلالاً .

ثانياً : إن هذه الآية من أقوى الأدلة على إثبات رؤية الله فى الآخرة فإذا سلط عليها أهل الاعتزال معاول التأويل والتحريف فغيرها من باب أولى أن يحرف ويأول .

يقول ابن القيم رحمه الله فى هذه الآية :

"وأنت إذا جردت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها وجدتها منادية نداء صريحاً أن الله سبحانه يرى عياناً بالأبصار يوم القيامة ، وإن أبيت إلا تحريفها الذى يسميه المحرفون تأويلاً فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها ، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ، ولايشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ماوجده متأول مثل هذه النصوص ، وهذا الذى أفسد الدين والدنيا"(٢).

وقال ابن أبى العز : "هكذا فعلت اليهود والنصارى فى نصوص التوراة والإنجيل ، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم . وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم ، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية ...

---

(١) انظر ص : ١٦٢ فما بعدها .

(٢) حادى الأرواح ص٢١٨-٢١٩ .

وهـل خرجت الخوارج واعتزلـت المعتزلـة ، ورفضـت الـروافض ، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، إلا بالتأويل الفاسد؟"(١)

فتـأويل المعتزلة لهذه الآية هو تحريف لكلام اللـه عن مواضعه ، لأن التأويل الصحيح هو الذى يوافق ماجاءت به السنة ، والفـاسد المخالف له ، فكل تأويل لم يدل عليه سياق النص ، ولامعه قرينة تقتضيـه فهو ليس مراد الله ولارسوله صلى الله عليه وسلم(٢).

والـذى يستعجـب لـه الإنسـان ويستغـرب جرأة هـؤلاء المعتزلـة على النصوص ، فإنه يسهل على أحدهم أن يحرف النص ويأوله تأويلاً فاسداً ثم يزعم أن ذلك مراد الله ، وأنه التفسير الصحيح الذى لاتفسير غيره .

ورحم الله الإمام الطحاوى الذى يقول :

"والـرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطـة ولاكيفية ، كمـا نطق به كتاب ربنـا {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربهـا ناظرة} ، وتفسيره على مـاأراد اللـه تعالى وعلمـه ، وكل ماجاء فى ذلـك من الحديث الصحيح عـن الـرسول صلى الله عليـه وسلم فهـو كما قال ، ومعنـاه على مـاأراد ، لاندخل فى ذلـك متـأولين بآرائنـا ولامتـوهمين بأهوائنـا ، فإنه ماسلم فى دينه إلا مـن سلم للـه عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ورد علم مااشتبه عليه إلى عالمه"(٣).

وأما الجواب على تأويلات المعتزلة التى صرفوا بهـا مراد الله من الآية يقال لهم فى ذلك :

(١) قولكم إن المراد فى الآية النظر إلى الثواب ، قول فاسد جداً ، وحمل للكلام على غير ظاهره الذى وضع له فى اللغة من غير دليل يدل على ذلك(٤).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص١٨٩ .
(٢) انظر المرجع السابق ص١٩٨ .
(٣) متن العقيدة الطحاوية ص١٠ .
(٤) انظر : الفصل فى الملل ٣/٣ .

قال أبو الحسن الأشعرى رحمه الله :

"ثواب الله عز وجل غيره تعالى ، والله تعالى قال : {إلى ربها ناظرة} ولم يقل إلى غيره ناظرة ، والقرآن على ظاهره وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة، وإلا فهو على ظاهره ، ألا ترى أن الله عز وجل لما قال صلوا لى واعبدونى لم يجز أن يقول قائل : إنه أراد غيره ويزيل الكلام عن ظاهره ، فلذلك لما قال : {إلى ربها ناظرة} لم يجز لنا أن نزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة ، ثم يقال للمعتزلة : إن جاز لكم أن تزعموا أن قول الله عز وجل {إلى ربها ناظرة} إنما أراد به أنها إلى غيره ناظرة ، فلم ماجاز لغيركم أن يقول إن قول الله عز وجل : {لاتدركه الأبصار}(١) أراد بها لاتدرك غيره ولم يرد أنها لاتدركه وهذا مالايقدرون على الفرق فيه"(٢).

(٢) قولهم إن النظر يطلق على معانى ، وهو محتمل فى الآية لهذه المعانى .

يقال لهم : لاشك إن النظر له عدة معانى واستعمالات على حسب صلاته وتعديه، فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله : {انظرونا نقتبس من نوركم}(٣)، وإن عدى بفى فمعناه التفكر والاعتبار كقوله : {أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض}(٤)، وإن عدى بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله : {انظروا إلى ثمره إذا أثمر}(٥)(٦).

قال ابن القيم : "وإضافة النظر إلى الوجه الذى هو محله فى هذه الآية وتعديته بأداة إلى الصريحة فى نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بإلى خلاف حقيقته وموضوعه ، صريح فى أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه إلى

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٣

(٢) الإبانة فى أصول الديانة ص١٣ .

(٣) سورة الحديد : آية ١٣

(٤) سورة الأعراف : آية ١٨٥

(٥) سورة الأنعام : آية ٩٩

(٦) حادى الأرواح ص٢١٩ بتصرف . وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٠ .

نفس الرب جل جلاله"(١).

قال البيهقى رحمه الله :

"قال الله عز وجل : {وجوه يومئذ} يعنى يوم القيامة ، "ناضرة" يعنى مشرقة ، "إلى ربها ناظرة" وليس يخلو النظر من وجوه : إما أن يكون الله عز وجل عنى به نظر الاعتبار كقوله : {أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت}(٢)، أويكون عنى به نظر الانتظار كقوله : {ماينظرون إلا صيحة واحدة}(٣)، أو يكون عنى نظر التعطف والرحمة كقوله : {لاينظر إليهم}(٤)، أو يكون عنى الرؤية كقوله : {ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت}(٥).

ولايجوز أن يكون الله سبحانه عنى بقوله "إلى ربها ناظرة" نظر التفكر والاعتبار لأن الآخرة ليست بدار استدلال واعتبار وإنما هى دار اضطرار ، ولايجوز أن يكون عنى نظر الانتظار ، لأنه ليس فى شىء من أمر الجنة انتظار لأن الانتظار معه تنقيص وتكدير ، والآية خرجت مخرج البشارة ... ولأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجوه فمعناه نظر العينين اللتين فى الوجه ، كما قال تعالى : {قد نرى تقلب وجهك فى السماء}(٦)، وأراد بذلك تقلب عينيه نحو السماء ، ولأنه قال : "إلى ربها ناظرة" ونظر الانتظار لايكون مقروناً بإلى لأنه لايجوز عند العرب أن يقولوا فى نظر الانتظار "إلى" ألا ترى أن الله عز وجل لما قال : {ماينظرون إلا صيحة واحدة}(٧)لم يقل "إلى" إذ كان معناه الانتظار ، وقالت بلقيس فيما أخبر الله عنها : {فناظرة بم يرجع

---

(١) حادى الأرواح ص٢١٩ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٨٩ .
(٢) سورة الغاشية : آية ١٧
(٣) سورة يس : آية ٤٩
(٤) سورة آل عمران : آية ٧٧
(٥) سورة محمد : آية ٢٠
(٦) سورة البقرة : آية ١٤٤
(٧) سورة يس : آية ٤٩

المرسلون}(١)، فلما أرادت الانتظار لم تقل "إلى" ، قلنا : ولايجوز أن يكون الله سبحانه أراد نظر التعطف والرحمة ، لأن الخلق لايجوز أن يتعطفوا على خالقهم ، فإذا فسدت هذه الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسام النظر وهو أن معنى قوله : "إلى ربها ناظرة" أنها رائية ترى الله عز وجل"(٢).

(٣) لم يرد بذكر الوجوه جملة الإنسان ، لأنه لادليل يدل على ذلك ، ولاضرورة تدعو إلى حمل الوجوه على جملة الإنسان .

فالأولى فى ذلك حمل الأمور على معهودها فى اللغة مالم يمنع من ذلك نص أو إجماع أو ضرورة ، ولم يأت نص ولاإجماع ولاضرورة تمنع ماذكرنا فى معنى النظر(٣).

فذكر الوجوه فى الآية لأن بها العينين اللتين يكون بهما النظر .

(٤) قولهم المراد : التوقع والرجاء.

أجيب على ذلك بما ذكر فى جواب الوجه الثانى .

(٥) قولهم : إن المراد بذلك واحدة الآلاء وهى النعم .

أجاب عن ذلك الإمام ابن حزم رحمه الله بوجهين :

"أحدهما : إن الله تعالى أخبر أن تلك الوجوه قد حصلت لها النضرة وهى النعمة، والنعمة نعمة ، فإذا حصلت لها النعمة فبعيد أن ينتظر ماقد حصل لها وإنما ينتظر مالم يقع بعد .

والثانى : تواتر الأخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم ببيان أن المراد بالنظر هو الرؤية لاماتأوله المتأولون"(٤).

---

(١) سورة النمل : آية ٣٥

(٢) الاعتقاد ص٧٤-٧٥ .

(٣) الفصل فى الملل ٣/٣-٤ بتصرف .

(٤) المرجع السابق ٣/٣ .

المثال الثانى :

روى البخارى بسنده إلى قيس بن أبى حازم عن جرير قال : "كنا جلوساً عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا"(١).

وقد رد المعتزلة على الحديث بأوجه يمكن أن نلخصها فى الآتى :

(١) إنه يتضمن الجبر والتشبيه .

(٢) يجب القطع على أنه صلى الله عليه وسلم لم يقله بل هو كذب عليه.

(٣) إن قاله فإنما قاله على سبيل الحكاية .

(٤) مروى عن قيس بن أبى حازم وهو مطعون فيه من وجهين :

(أ) إنه كان يرى رأى الخوارج .

(ب) إنه خولط فى عقله آخر عمره .

(٥) إنه خبر آحاد لايقتضى العلم والرؤية طريقها القطع .

(٦) إنه معارض بأخبار :

(أ) عن أبى ذر أنه قال :

قلت للنبى : "هل رأيت ربك"؟ فقال : "نور هو ، أنى أراه" . أى : أنور هو؟ كيف أراه؟"(٢).

(ب) عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لن يرى الله أحد فى الدنيا ولافى الآخرة".

(٧) المراد بالرؤية فى الحديث العلم أو المعرفة وليست رؤية البصر .

ويجاب على ماذكروا بما يأتى :

---

(١) سبق تخريج الحديث . انظر ص : ١٩١

(٢) سبق تخريجه . انظر ص : ١٨٤

(١) زعمهم أنه يفيد التشبيه :

يرد عليه نص الحديث فقد قال صلى الله عليه وسلم : "إنكم سترون ربكم كما ترون القمر" فلم يشبه الله عز وجل بالقمر ، وإنما شبه رؤيته برؤية القمر ، فكاف التشبيه دخلت على "ما" المصدرية أو الموصولة بترون التى تتأول مع صلتها إلى المصدر الذى هو الرؤية . فيكون بذلك قد شبه الرؤية بالرؤية لاالمرئى بالمرئى(١).

(٢) زعمهم بوجوب القطع على أنه صلى الله عليه وسلم لم يقله وأنه كذب عليه ، يجاب عنه بما يلى :

أولاً : لقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وأجمع الصحابة والذين من بعدهم على إثبات رؤية الله فى الآخرة للمؤمنين(٢).

ثانياً : إن الأحاديث التى دلت على ثبوت الرؤية تبلغ حد التواتر أخرجها أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد واعتنى بجمعها أئمةمن العلماء كالدارقطنى وأبى نعيم الأصبهانى وأبى بكر الآجرى وغيرهم الكثير(٣).

قال الحافظ ابن حجر :

"جمع الدارقطنى طرق الأحاديث الواردة فى رؤية الله تعالى فى الآخرة فزادت على العشرين ، وتتبعها ابن القيم فى حادى الأرواح فبلغت الثلاثين وأكثرها جياد ، وأسند الدارقطنى عن يحي بن معين(٤)قال :

---

(١) انظر موافقة صحيح المنقول ١٩١/١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٢١١ .

(٢) انظر : شرح النووى على مسلم ١٥/٣ .

(٣) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٣٤٨/١ .
وقد نص على تواتر أحاديث الرؤية جماعة من العلماء . انظر :
مجموع الفتاوى ٣٩٠/٣ ، حادى الأرواح ص٢١٩،٢٥١ ، تفسير القرآن العظيم ١٦١/٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٣ .

(٤) يحي بن معين :
هو يحي بن معين بن عون الغطفانى مولاهم ، أبو زكريا البغدادى ، ثقة حافظ مشهور . إمام الجرح والتعديل . روى عن ابن المبارك ، وهشيم ، وابن عيينة . وعنه الإمام أحمد ، والبخارى ، ومسلم ، وخلق . مات بالمدينة سنة ٢٣٣هـ . =

"عندى سبعة عشر حديثاً فى الرؤية صحاح"(١).

ثالثاً : لقد تلقى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم بإحسان وسلف الأمة وأئمتها أحاديث الرؤية بالقبول وعدم الإنكار ، واتفق عليها أهل السنة والجماعة(٢).

وقد ذكر النووى رحمه الله أنه رواها نحواً من عشرين صحابياً(٣)، وعد ابن القيم رحمه الله من رواها فبلغوا سبعة وعشرين رجلاً من الصحابة رضى الله عنهم(٤). بل لم يرو عن أحد منهم نفى حديث منها ، فكانوا على إثباتها مجتمعين متفقين(٥).

قال على بن المدينى : "سألت عبد الله بن المبارك عن رؤية الله تعالى فقال : ماحجب الله عز وجل أحدا إلا عذبه، ثم قرأ : {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون}(٦). قال : الرؤية .

فقلت له ياأبا عبد الله : إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث : إن الله ينزل إلى سماء الدنيا ، وأهل الجنة يرون ربهم ، فحدثنى بنحو عشرة أحاديث فى هذا ، وقال : أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين ، والتابعون أخذوه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمن أخذوه؟"(٧)

= انظر : الطبقات الكبرى ٣٥٤/٧ ، الجرح والتعديل ١٩٢/٩ ، تاريخ بغداد ١٧٧/١٤-١٨٧ ، تذكرة الحفاظ ٤٢٩/٢-٤٣١ ، ميزان الاعتدال ٤١٠/٤ ، الكاشف ٢٦٨/٣-٢٦٩ ، تهذيب التهذيب ٢٨٠/١١-٢٨٨ ، تقريب التهذيب ٣٥٨/٢ .

(١) فتح البارى ٤٣٤/١٣ .

(٢) انظر : الفصل فى الملل ٤/٣ ، مجموع الفتاوى ٣٩١/٣ ، فتح البارى ٤٢٦/١٣ .

(٣) انظر : شرح النووى على مسلم ١٥/٣ .

(٤) انظر : حادى الأرواح ص٢١٩ .

(٥) انظر : الاعتقاد ص٨٢ .

(٦) سورة المطففين : آية ١٥-١٧

(٧) لوامع الأنوار ٢٤٥/٢ .

قال عباد بن العوام(١): قدم علينا شريك(٢)فقلنا : إن قوماً ينكرون هذه الأحاديث : إن الله ينزل إلى سماء الدنيا ، والرؤية ،وماأشبه هذه الأحاديث! فقال : "إنما جاءنا بهذه الأحاديث من جاءنا بالسنن فى الصلاة والزكاة والحج وإنما عرفنا الله بهذه الأحاديث"(٣).

قال حنبل(٤): قلت لأبى عبد الله ـ يعنى أحمد ـ فى الرؤية . قال : "أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر وكلما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم بأسانيد جيدة نؤمن به ونقر"(٥).

وقال ابن القيم رحمه الله فى أحاديث الرؤية :

---

(١) عباد بن العوام :
هو عباد بن العوام بن عمر الكلابى مولاهم ، أبو سهل الواسطى ، ثقة . حدث عن أبى مالك الأشجعى ، وابن عون ، وأبى إسحاق الشيبانى . وعنه الإمام أحمد وعمرو الناقد وغيرهم . مات سنة ١٨٥هـ أو بعدها.
انظر : تاريخ بغداد ١٠٤/١١-١٠٥ ، تذكرة الحفاظ ٢٦١/١ ، تهذيب التهذيب ٩٩/٥ تقريب التهذيب ٣٩٣/١ .

(٢) شريك :
هو شريك بن عبد الله النخعى الكوفى ، القاضى بواسط ، ثم الكوفة أبو عبد الله ، صدوق ، يخطىء كثيراً ، تغير حفظه منذ ولى القضاء بالكوفة ، وكان عادلاً فاضلاً عابداً ، شديداً على أهل البدع . مات سنة ١٧٧هـ أو ١٧٨هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٣٦٥/٤ ، تاريخ بغداد ٢٧٩/٩ ، ميزان الاعتدال ٢٧٠/٢ تذكرة الحفاظ ٢٣٢/١ ، تهذيب التهذيب ٣٣٣/٤ ، تقريب التهذيب ٣٥١/١ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٠٤/٢ .

(٤) حنبل :
هو حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد ، أبو على الشيبانى ، ابن عم الإمام أحمد وتلميذه ، إمام ، حافظ ، ثقة ،مصنف .
سمع سليمان بن حرب ، وأبى نعيم ، والحميدى . وعنه ابن صاعد ، وأبو بكر الخلال وآخرون . مات سنة ٢٧٣هـ .
انظر : تاريخ بغداد ٢٨٦/٨-٢٨٧ ، تذكرة الحفاظ ٦٠٠/٢-٦٠١ ، سير أعلام النبلاء ٥١/١٣-٥٣ .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٠٧/٢ .

"فإن الذى جاء بهذه الأحاديث هو الذى جاء بالقرآن والشريعة ، والذى بلغها هو الذى بلغ الدين ، فلايجوز أن يجعل كلام الله ورسوله عضين(١) بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها ، فلايجتمع فى قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها إنكارها والشهادة بأن محمداً رسول الله أبدا"(٢).

(٣) قول عبد الجبار :

"وإن قال فإنه قاله حكاية عن قوم ، والراوى حذف الحكاية ونقل الخبر" .

هذه مجرد دعوى لاتستند على دليل ، ولم ترد فى رواية من روايات الحديث المتعددة ، فإنها لو كانت صحيحة لذكرت ولو مرة واحدة فى طريق من طرقه فدل ذلك على بطلانها(٣).

(٤) وأما طعنهم فى قيس بن أبى حازم ، فإنه يرد عليه بالآتى :

أولاً :إن قيساً رحمه الله من ثقات رواة الحديث وقد وثقه جهابذة العلماء ، وإليك طرفاً من أقوالهم فيه :

وصفه الذهبى رحمه الله فقال :

"العالم الثقة الحافظ أبو عبد الله البجلى ... أسلم وأتى النبى صلى الله عليه وسلم ليبايعه فقبض نبى الله وقيس فى الطريق ، ولأبيه أبى حازم صحبة وقيل : إن لقيس صحبة، ولم يثبت ذلك ، وكان من علماء زمانه".

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله :

"ماكان بالكوفة أحد أروى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قيس بن أبى حازم".

وقال أبو داود رحمه الله :

---

(١) عضين : أى جزأ مفرقاً .
انظر : القاموس المحيط ص١٦٩٢ .

(٢) حادى الأرواح ص٢٥٢ .

(٣) انظر : رؤية الله تعالى ص٢٣١ .

"أجود التابعين إسناداً قيس".

وقال يحي بن معين رحمه الله :

"قيس بن أبى حازم أوثق من الزهرى ، ومن السائب بن يزيد" . وكذا وثقه غير واحد"(١).

ثانياً : أخرج له البخارى ومسلم وبقية أصحاب الكتب الستةوغيرهم(٢). ولو كان مطعوناً فيه لما أخرج له صاحبا الصحيحين فى أصولهما .

ثالثاً : حديث قيس السابق أخرجه البخارى فى صحيحه ، ويكفى ذلك لصحته وتوثيق رواته ، وهو القائل : "ماأدخلت فى كتاب الجامع إلا ماصح"(٣).

رابعاً : لم ينفرد قيس عن جرير رضى الله عنه بذكر الرؤية وإنما تواترت الأحاديث عن جمع من الصحابة منهم أبو سعيد وأبو هريرة وأنس وصهيب وبلال وغير واحد(٤).

خامساً :إن قيساً رحمه الله لم يكن يحمل على على رضى الله عنه كما يدعى عبد الجبار ، بل المشهور عنه أنه كان يقدم عثمان عليه(٥). وهذا قول جمهور أهل السنة وكافة أهل الحديث والفقه فإنهم يقدمون عثمان على على رضى الله عنهما ، وفى ذلك قول ابن عمر "كنا نخير بين الناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضى الله عنهم"(٦). فلم يأت قيس بمنكر من القول حتى يكون سبباً

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٩٨/٤-٢٠٠ .

(٢) انظر : تقريب التهذيب ١٢٧/٢ .

(٣) انظر : تدريب الراوى ٩٨/٢ .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ١٦١/٢ ، وقد سبق بعض تلك الأحاديث . انظر ص: ١٩٠ وما بعدها.

(٥) انظر : سير أعلام النبلاء ١٩٩/٤ .

(٦) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (٦٢) ، باب فضل أبى بكر بعد النبى صلى الله عليه وسلم (٤) ، ١٩١/٤ .
وانظر : تدريب الراوى ٢٢٣/٢ .

للطعن فيه .

(٥) قولهم بأنه خبر آحاد ، وهو لايقتضى العلم ، والرؤية طريقها القطع والثبات .

كونه خبر آحاد وخبر الآحاد لايقتضى العلم ، هذه شبهة باطلة ، استوفيت الإجابة عنها من قبل(١).

وأما كون الرؤية طريقها القطع والثبات ، هذا ليس بلازم لأن أحاديث الآحاد الصحيحة كافية فى إثبات العقائد ، إضافة إلى ماسبق ذكره من أن أحاديث الرؤية تواترت تواتراً معنوياً . فبطلت بذلك شبهة أهل الاعتزال من جميع الأوجه .

(٦) زعمهم بأنه معارض بأخبار رويت منها :

(أ) مارواه أبوقلابة عن أبى ذر أنه قال : قلت للنبى : "هل رأيت ربك"؟ فقال : "نور هو ، أنى أراه" أى أنور هو؟ كيف أراه؟

(ب)عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لن يرى الله أحد فى الدنيا ولافى الآخرة".

ويجاب عن ذلك بما يلى :

(أ) بالنسبة لرواية أبى ذر :

أخرجها مسلم رحمه الله عن أبى ذر بطريقين : قال صلى الله عليه وسلم فى الرواية الأولى : "نور أنى أراه" ، وفى الثانية : "رأيت نوراً"(٢).

قال النووى :

"أما قوله صلى الله عليه وسلم "نور أنى أراه" فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة فى أنى وتشديد النون وفتحها وأراه ، بفتح الهمزة ، هكذا رواه جميع الرواة فى جميع الأصول والروايات ومعناه : حجابه نور فكيف أراه، قال الإمام أبو عبد الله المازرى رحمه الله : الضمير فى أراه عائد على الله

---

(١) انظر ص ، ١٢٨ فما بعدها .

(٢) الحديث سبق تخريجه . انظر ص ، ١٨٤

سبحانه وتعالى ومعناه أن النور منعنى من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ماحالت بين الرائى وبينه . وقوله صلى الله عليه وسلم : "رأيت نوراً" معناه : رأيت النور فحسب ولم أر غيره"(١).

ولكن عبد الجبار لم تطب لنفسه رواية الحديث كما جاءت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بل أبت بدعته إلا أن تحمله على تحريفها ثم تفسيرها تفسيراً يلائم تلك البدعة .

وحديث أبى ذر لايعارض حديث جرير السابق ، لأن حديث أبى ذر يتعلق بموضوع رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لربه ليلة المعراج ، فإنه نفى صلى الله عليه وسلم أن يكون قد رأى ربه بعينى رأسه ، والذى منعه من ذلك النور وهو الحجاب المذكور فى رواية أبى موسى رضى الله عنه عندما قال :

"قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات ، فقال : "إن الله عز وجل لاينام ولاينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور [وفى رواية "النار"] لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ماانتهى إليه بصره من خلقه"(٢).

فقول النبى صلى الله عليه وسلم : "فأنى أراه؟" أى فكيف أراه والنور حجاب بينى وبينه يمنعنى من رؤيته؟(٣)

(ب) وأما رواية جابر فإنها لم ترو بهذا اللفظ عن أحد من أئمة الحديث .

وإنما الذى ورد عند مسلم : من حديث الدجال عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت"(٤).

---

(١) شرح النووى على مسلم ١٢/٣ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان (١) ، باب فى قوله عليه السلام : "إن الله لاينام" (٧٩) برقم ١٧٩ ، ١٦١/١-١٦٢ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٧ .

(٤) الحديث سبق تخريجه . انظر ص ١٨٤ .

فـــزيادة "ولافى الآخرة" زيادة منكـــرة لم ترد فى الحديث ، بل هـــى موضوعة أريد بها مناهضة الأدلـة الثـابتة فى إثبات الرؤية ، فـأمثالها لايجوز أن تنسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم(١).

والـذى يعجب له الإنسان مـن هؤلاء المعتزلة أنهـم يطعنون فى الثابت من الأحاديث بل والمتواتر منهـا إذا خالفـت بدعتهـم بينمـا يلجـأوون إلى الموضـوع والضعيف من الأحاديث للاستشهـاد به على باطلهـم ، ومـاذلك إلا للهـوى الـذى أعمـى أبصارهـم عـن رؤية الحق ، وعقـولهم عـن الهـدى ، فانقلبت عندهم الموازين واختلطـت عليهـم الأمـور ، فـأصبح الضلال هـدى والباطل حقاً ، وهكذا أصحاب البدع والأهواء ، فإنهـم يحدثون البدع أولاً فإذا استقرت فى أذهانهم بحثوا لها عما يسندها من أدلـة لايعبأون بصحتها أو ضعفهـا ، أو من قالها ، وإن وجدوا مـايخالف تلك البـدع من أدلة صحيحة لووا أعناقها فحرفوها وبدلوها وزادواونقصوا فيها لتكـون حجة لهم لاعليهم. والسلامة أن يعافيك الله ممـاابتلاهم به .

(٧) قولهم : "المراد بـ"سترون ربكم" : ستعلمون ربكم أو تعـرفون ربكم ، ولذا قال : "لاتضامون" أى لاتشكون .

والجواب على ذلك :

أولاً : لاشك إن "ترى" تكون بصرية وتارة تكون قلبية ، وتارة تكون من رؤيا الحلم ، وغير ذلك . ولايخلـو الكلام من وجود قـرينة تخلـص المعنى المراد .

والقرينة فى الحديث قوله : "سترون ربكم كما ترون القمر".

وفى الـرواية الأخرى : "كمـا ترون الشمـس فى الظهيرة ليـس دونهـا سحاب" . فدل على أن المراد بها "ترى" البصرية(٢).

---

(١) انظر : رؤية الله تعالى ص٢٣٤،٢٣٥ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢١١ .

ثانياً : إن "ترى" العلمية تنصب مفعولين بخلاف البصرية .

قال ابن التين :

"... إن الرؤية بمعنى العلم تتعدى لمفعولين تقول : رأيت زيداً فقيهاً أى علمته ، فإن قلت : رأيت زيداً منطلقاً لم يفهم منه إلا رؤية البصر ، ويزيده تحقيقاً قوله فى الخبر : "إنكم سترون ربكم عياناً" لأن اقتران الرؤية بالعيان لايحتمل أن يكون بمعنى العلم"(١).

ثالثاً : قوله : "تضامون" . قال النووى : "بتشديد الميم وتخفيفها فمن شددها فتح التاء ومن خففها ضم التاء ، ومعنى المشددة : هل تضامون وتتلطفون فى التوصل إلى رؤيته ، ومعنى المخففة : هل يلحقكم ضيم وهو المشقة والتعب"(٢).

فتفسير عبد الجبار للضيم بمعنى الشك لايستقيم .

قال الإمام الدارمى رحمه الله :

"وهذا التفسير - أى تفسير "تضامون" بمعنى تشكون - مع مافيه من معاندة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو محال خارج عن المعقول ، لأن الشك فى ربوبية الله زائل عن المؤمن والكافر يوم القيامة فكل مؤمن وكافر يومئذ يعلم أنه ربهم لايعتريهم فى ذلك شك فيقبل الله ذلك من المؤمنين ، ولايقبله من الكافرين ، ولايعذرهم بمعرفتهم ويقينهم به فى ذلك اليوم فما فضل المؤمن على الكافر يوم القيامة .. فى معرفة الرب؟ إذ مؤمنهم وكافرهم لايعتريه فى ربوبيته شك"(٣).

قال ابن حزم :

"ومحال أن تكون هذه الرؤية رؤية القلب لأن جميع العارفين به تعالى يرونه فى الدنيا بقلوبهم وكذلك الكفار فى الآخرة بلاشك"(٤).

---

(١) فتح البارى ٤٢٦/١٣ ، وانظر فى ذلك : النحو الوافى ١٤/٢-١٨ .

(٢) شرح النووى على مسلم ١٨/٣ .

(٣) رد الدارمى عثمان بن سعيد ضمن عقائد السلف ص٤١٤ .

(٤) الفصل فى الملل ٤/٣ .

وأما قول عبد الجبار :

"مانسب لعائشة إنها سمعت بأن القوم يقولون :بأن الله يرى ، فقالت : لقد قف شعرى مما قلتموه ، ودفعت ذلك بقوله تعالى : {لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار}(١).

يجاب عن ذلك بالآتى :

أولاً: ذكره لحديث عائشة الصحيح بصيغة التمريض "نسب" مخالف للقاعدة العلمية عند المحدثين ، فإنهم يوردون الأحاديث الصحيحة بصيغة الجزم(٢).

ثانياً : لقد حرف عبد الجبار رواية عائشة رضى الله عنها ليتسنى له الاستدلال بها على نفى الرؤية فى الآخرة .

والحديث كما رواه مسلم فى صحيحه بسنده إلى مسروق(٣)قال : كنت متكئاً عند عائشة فقالت : ياأبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية ، قلت : ماهن؟ قالت من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، قال وكنت متكئاً فجلست فقلت : ياأم المؤمنين أنظرينى ولاتعجلينى ألم يقل الله عز وجل {ولقد رآه بالأفق المبين}(٤)، {ولقد رآه نزلة أخرى}(٥). فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٣

(٢) انظر : تدريب الراوى ١٢٠/١ .

(٣) مسروق :

هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمدانى الوادعى ، أبوعائشة ، الكوفى ، ثقة فقيه عابد ، مخضرم . يروى عن أبى ، وعمر ، وعائشة . وعنه الشعبى ، وإبراهيم النخعى ، وأبو وائل . مات سنة ٦٢هـ وقيل ٦٣هـ .

انظر : الطبقات الكبرى ٧٦/٦ ، تاريخ بغداد ٢٣٢/١٣ ، تذكرة الحفاظ ٤٦/١ ، سير أعلام النبلاء ٦٣/٤-٦٩ ، تهذيب التهذيب ١٠٩/١٠ ، تقريب التهذيب ٢٤٢/٢ .

(٤) سورة التكوير : آية ٢٣

(٥) سورة النجم : آية ١٣

ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "إنما هو جبريل لم أره على الصورة التى خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه مابين السماء إلى الأرض ، فقالت : أولم تسمع أن الله يقول : {لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير} ..."(١)الحديث .

ثالثاً : إن عائشة رضى الله عنها لم تنف رؤية الله فى الآخرة ، وإنما نفت أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد رأى ربه فى الدنيا كما هو ظاهر من سياق الرواية.

ونفى عائشة رضى الله عنها لرؤية النبى صلى الله عليه وسلم لله سبحانه فى الدنيا بعينى رأسه هو القول الراجح عند أهل العلم وعليه جمهور أهل السنة ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : "تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت"(٢)، ولحديث أبى ذر رضى الله عنه "نور أنى أراه"(٣)(٤).

ولايلزم من ذلك عدم رؤيته فى الآخرة .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب معنى قول الله عز وجل : {ولقد رآه نزلة أخرى} (٧٧) برقم ١٧٧ ، ١٥٩/١ .
وأخرج البخارى نحوه مختصراً فى كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب إذا قال أحدكم آمين (٧) ، ٨٣/٤،٨٤ .
وبنحوه فى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة ق (٥٣) ، باب (١) ، ٥٠/٦ .
وأخرجه مختصراً أيضاً فى كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى {عالم الغيب فلايظهر على غيبه أحداً} (٤) ، ١٦٦/٨ .

(٢) الحديث سبق تخريجه . انظر ص: ١٨٤

(٣) الحديث سبق تخريجه . انظر ص: ١٨٤

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٢٣٠/٢ ، رؤية الله تعالى ص٥٣،٥٤ .

(٣) **أفعال العباد :**

هذا موضوع له علاقة وصلة وثيقة بموضوع قضاء الله وقدره . وأول من يذكر عنه أنه تحدث فى قدر الله تعالى معبد الجهنى(١)، ثم تبنى قوله واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد(٢)، ودعوا الناس إلى ذلك(٣).

وقد توسعت المعتزلة بعد ذلك فى موضوع القدر حتى جعلوه أصلاً من أصولهم الخمسة وأسموه بالعدل ، وتمدحوا بالتسمية به .

وقد عرفوا العدل بأنه تعالى لايفعل القبيح ولايختاره ، ولايخل بما هو واجب عليه ، وأن أفعاله كلها حسنة(٤).

وقد زعموا أن العقل هو الذى قادهم إلى ذلك ودفعهم إليه .

وأما نصوص الكتاب والسنة فلادخل لها فى شأن العدل .

قال عبد الجبار :

"فأما الكلام فى العدل فالعقل يدل عليه ، وذلك لأنه تعالى إذا كان عالماً بالقبيح وغنياً عنه ، لأن الحاجة إنما تصح على من يشتهى ويتغذى

---

(١) معبد الجهنى :

هو معبد بن عبد الله بن عويمر ، وقيل:عكيم - الجهنى . البصرى . أول من قال بالقدر فى زمن الصحابة بالبصرة . وكان عالماً مع بدعته . صدوق فى الحديث . قتل سنة ٨٠هـ .

انظر : التاريخ الكبير للبخارى ٣٩٩/٧ ، الجرح والتعديل ٢٨٠/٨ ، المجروحين ٣٦،٣٥/٣ ، ميزان الاعتدال ١٤١/٤ ، سير أعلام النبلاء ١٨٥/٤-١٨٧ ، تقريب التهذيب ٢٦٢/٢ .

(٢) عمرو بن عبيد : هو عمرو بن عبيد بن باب ، التميمى مولاهم ، أبو عثمان البصرى ، شيخ المعتزلة فى عصره ومفتيها ، وأحد الزهاد . كان داعية إلى بدعته . واتهمه جماعة . مات سنة ١٤٣هـ وقيل ١٤٤هـ .

انظر : المجروحين ٦٩/٢-٧١ ، تاريخ بغداد ١٦٢/١٢-١٧٨ ، ميزان الاعتدال ٢٧٣/٣-٢٨٠ ، سير أعلام النبلاء ١٠٤/٦-١٠٦ ، تهذيب التهذيب ٣٠/٨ ، تقريب التهذيب ٧٤/٢ .

(٣) انظر : الفرق بين الفرق ص١١٩ .

(٤) انظر : شرح الأصول ص١٣٢،٣٠١ .